المدخل إلى علم التفسير

وسام الكحلاني

www.alukah.net

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

www.alukah.net

المَدخَلُ
إِلَى
عِلمِ التَّفسِيرِ

تَأْلِيفُ

وِسَامِ بنِ حَسَنِ بنِ مُحَمَّدٍ الْكُحْلاَنِي

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
الألوكة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الرحمةُ المُهداة للعالمين، صلىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحابته الغُرِّ الميامين، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإن علم التفسير من أجل وأعظم علوم الشريعة التي ينبغي أن يُعْنَىٰ بها المُسلمون عمومًا، وأهلُ العلم خصوصًا؛ لتعلقه ببيان معاني كلام الله تعالىٰ التي يحتاجها كُلُّ مُسلم، ودراسةُ عِلْمِ التفسير -كغيرها من العلوم- تحتاج إلىٰ مَدخلٍ يُوصِلُ إليه؛ يَشْرَحُ مبادئَه، ويُصوِّر مسائلَه، ويُبَيِّنُ أصولَه وضوابطَهُ وأهمَّ متعلقاته، وقد جمعت هذه الرسالةَ تأسيسًا لطالب علم التفسير، وإكسابِهِ ملكةً تُعينُه علىٰ فَهْم كلام المفسرين، ومعرفةِ أصولِهِم التي ساروا عليها، وكيفَ الترجيح بين أقوالهم، وهذا لا يُمكن تحصيله بكثرة القراءة والإقراء لكُتب التفسير، وإنما بضبط أصول وقواعد هذا العلم التي يصير بها علىٰ دراية ورسوخ في التفسير، وهذا المدخلُ المُيَسَّرُ جامعٌ -بإذن الله تعالىٰ- لأهم المباحث التي يحتاج إليها طالبُ عِلمِ التفسير، واللهَ أسألُ أن يجعله خالصًا لوجهه نافعًا لعباده، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه:

وسام بن حسن بن محمد الكحلاني

www.alukah.net

الفصل الأول

مبادئ علم التفسير

ينبغي لكل طالب علمٍ أن يشرع أولا بدراسة مدخل إلىٰ العلم الذي هو بصدد دراسته، والمداخل هي المبادئ التأسيسية للطالب وهي بوابته ووسيلته لتصور الفنون، ومعرفةِ مباحثِها وأُسسِها التي تقوم عليها، وثِمارِ دراستها، وضبطُ طالبِ العلم لهذه المبادئِ والأصول يُيَسرُ عليه فَهمَ العِلم واستيعابَه، وتحصيلَ ثمرتِه المقصودة، وذلك لارتكازه علىٰ ركن شديد، فلا بيت لمن لا أساس له، ولا نظم لمن لا وَزن عنده، ومبادئ كل علم عشرة، جمعها الشيخ أبو العِرفان محمدُ بنُ عليٍّ الصَّبَّان[(١)] ﷺ في قوله:

إِنَّ مَبَادِئ كُلِّ فَنٍّ عَشَرَةْ ... الحَدُّ وَالمَوضُوعُ ثُمَّ الثمَرَةْ

وَنِسْبَةٌ وَفَضْلُهُ وَالوَاضِعْ ... وَالِاسْمُ الِاسْتِمْدَادُ حُكْمُ الشَّارِعْ

مَسَائِلٌ وَالْبَعْضُ بِالْبَعْضِ اكْتَفَىٰ ... وَمَنْ دَرَىٰ الجَمِيْعِ حَازَ الشَّرَفَا[(٢)]

---

(١) هو الشيخ المقرئ النحوي الأديب أبو العرفان محمد بن علي الصبان المصري، المتوفىٰ في القاهرة سنة ١٢٠٦ هـ، له العديد من المؤلفات، ومنها: نظم الكافية الشافية في علمي العروض والقافية، وحاشية علىٰ شرح الأشموني لألفية ابن مالك في النحو والصرف، وحاشية علىٰ شرح السعد في المعاني والبيان، وحاشية علىٰ شرح الملوي علىٰ السلم في المنطق، وله قصيدة في مصطلح الحديث والعديد من التصانيف نظمًا ونثرًا ﷺ. الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٧).

(٢) حاشية الصبان علىٰ شرح الأشموني (ص:٣٥).

www.alukah.net

المبادئ العشرة لعلم التفسير:

أولاً: حَدُّه:

التفسير لغةً: مشتق من مادة (فَسَرَ)، وهي تدل علىٰ ظهور الشيء وبيانِه، ومنه الكشف عن المعنىٰ الغامض. يقال: (أسفر الصبح) إذا بان وظهر، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾[(١)].

وفي **الاصطلاح**: علمٌ يُعنَىٰ ببيان معاني القرآن الكريم[(٢)(٣)].

ثانيًا: موضوعه:

بيان معاني القرآن الكريم.

ثالثًا: ثمرته:

فهم كلام الله تعالىٰ، للعمل بأحكامه والاتعاظ بأخباره.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٥/ ٥٥).

(٢) الميسر في علوم القرآن (ص:١٨١)، التحرير في أصول التفسير (ص:١٩).

(٣) عَرَّف العلامة الزركشي ﷺ التفسير بأنه: "عِلْمٌ يُفهم به كتاب الله ﷻ المُنَزَّل علىٰ نبيه محمدٍ ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمِه". البرهان (١/ ١٣).

قلتُ: هذا التعريف وما كان بنحوه من التعاريف، ليس تعريفًا جامعًا مانعًا للتفسير عند التحقيق، وإنما هو تعريف مُوسَّع يشمل التفسير ويتعداه إلىٰ غيره من علوم القرآن، فالتفسير منحصر في بيان معاني كلام الله تعالىٰ دون تناول حِكَمه وأحكامه؛ فهذا قدرٌ زائد علىٰ التفسير، ولذا قال الأصبهاني في تفسيره: اعلم أنَّ التفسير في عُرْفِ العلماء؛ كشف معاني القرآن، وبيان المُراد. الإتقان (٢/ ٤٦١).

وعلىٰ تعريف الزركشي ﷺ -ونحوه من التعاريف- سنُخْرِجُ عن مسمىٰ التفسير الكثير مِن كُتب التفسير الإجمالية كالوجيز للواحدي وتفسير الجلالين وتفسير السَّعْدي وأيسر التفاسير وغيرها!

ويؤكِّد ما سبق أن أئمة التفسير الذين صنفوا كُتبًا في التفسير التحليلي المشتمل علىٰ بعض علوم القرآن، لم يُسَمُّوا تصانيفهم غالبًا بالتفسير؛ وإنما بعلوم القرآن ونحوه، كتفسير ابن جُزي المسمىٰ: (التسهيل لعلوم التنزيل)، وتفسير القرطبي المسمىٰ: (الجامع لأحكام القرآن الكريم)، وتفسير السَّمين الحَلَبي المسمىٰ: (الدُّر المَصُون في علوم الكتاب المكنون) وغيرها.

www.alukah.net

رابعًا: نسبته:

من العلوم الشرعيَّة، وهو أعظم فروع علوم القرآن الكريم.

خامسًا: فضله:

مِن أفضل العلوم، وأجلِّها شرفًا، وأعلاها مكانة؛ لاختصاصه ببيان معاني كلام الله تعالىٰ في كتابه الكريم[(١)].

سادسًا: واضعه:

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه أول من فَسَّر القرآن وبيَّنه للناس بأمر من الله تعالىٰ، وهذا من حيث الوضع العَملي، وأما من حيث الوضع العِلمي فقد اختُلف في أول من صنف في التفسير استقلالا فقيل: ابن جريج عبدالملك بن عبد العزيز، وقيل مالك بن أنس، وقيل: الفراء، وقيل غير ذلك[(٢)].

---

(١) قال ابن جرير الطبري ﷺ في تفسيره (١/ ٧): اعلموا عبادَ الله، رحمكم الله، أن أحقَّ ما صُرِفت إلىٰ علمه العناية، وبُلِغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رضًىٰ، وللعالم به إلىٰ سبيل الرشاد هدىٰ، وأن أجمعَ ذلك لباغيه كتابُ الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مِرْية فيه، الفائزُ بجزيل الذُّخرِ وسَنَىٰ الأجرِ تالِيه. الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حَميد.

وقال الأصبهاني ﷺ: أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن... فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث؛ الموضوع، والغرض، وشدة الحاجة:

أما من جهة الموضوع: فلأن موضوعه كلام الله تعالىٰ الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يَخْلَق علىٰ كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

وأما من جهة الغَرَض: فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقىٰ والوصول إلىٰ السعادة الحقيقية التي لا تفنىٰ.

وأما من جهة شدة الحاجة: فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلىٰ العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة علىٰ العلم بكتاب الله تعالىٰ. الإتقان (٤/ ١٩٩).

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم (ص:٣٦)، وطبقات المفسرين (٢/ ٢٩٩)، والموسوعة القرآنية المتخصصة (١/ ٢٥٠)، ومحاضرات في علوم القرآن (ص:١٨٤).

www.alukah.net

سابعًا: اسمه:

تفسير القرآن الكريم[١].

ثامنًا: استمداده:

استُمد التفسير من مصادره الأصلية وهي القرآن الكريم، والسُّنة النبوية، وأقوال الصحابة، والتابعين، واللغة العربية[٢].

---

(١) ومنهم من يُطلق عليه أيضًا تأويل القرآن الكريم، فالتفسير والتأويل بمعنىً واحد عند جماعة من العلماء واختاره أبو عُبيدة معمر بن المثنىٰ، وذهب آخرون إلىٰ أنهما مُتغايران في معناهما واختاره الراغب الأصفهاني، والزركشي في البرهان ونقل فُرُوقًا بينهما، ومِن أحسن الفرق بينهما:

١) التفسير إيضاح وبيان لمعاني المفردات، والتأويل إيضاح وبيان للمقاصد والدلالات في الآيات.

٢) التفسير يُعنَىٰ بإيضاح المعنىٰ الظاهر للآية، والتأويل يُعنَىٰ بإيضاح المعنىٰ المؤول والمحتمل للآية.

٣) التَّفسير يرجع إلىٰ الرِّواية، والتَّأويل يرجع إلىٰ الدِّراية؛ لأنَّ التَّفسير معناه الكشف والبيان، والكشف عن مراد الله لا نجزم به إلاَّ إذا ورد عن رسول الله ﷺ، أو بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي، وعلِموا ما أحاط به من حوادث ووقائع، ورجعوا إلىٰ النبي ﷺ فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم، أمَّا التَّأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللَّفظ بالدّليل والتَّرجيح علىٰ الاجتهاد ويتوصّيل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب واستعمالها بحسب السّياق، ومعرفة الأساليب العربيّة، واستنباط المعاني من كلّ ذلك، فيكون التأويل أعم من التفسير. انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٩٤)، والإتقان (٢/ ٤٤٩)، والمدخل إلىٰ مناهج المفسرين (ص:٣).

(٢) وأما من حيث مصادر المصنِفين لكتب التفسير فأصولها أربعة:

أولًا: كتب السُّنن والآثار؛ ومنها يؤخذ التفسير بالمأثور عن النبي ﷺ وعن السلف الصالح.

ثانيًا: كتب المفسرين الأوائل، وأشهرها تفسير ابن جرير الذي اعتمد عليه معظم من جاء بعده وصنَّفَ في التفسير.

ثالثًا: كتب علوم العربية؛ كالنحو، والصرف، والبلاغة، واللغة؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب، فكانت علوم العربية مِن أعظم ما يستعين به المفسِّر علىٰ إيضاح معاني الكلام ودلالاته.

رابعًا: كتب علوم القرآن؛ كالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والقراءات، والمكي والمدني، وغيرها، فعن طريقها يمكن للمفسر معرفة الأحكام والحِكم المتعلقة بالآيات.

www.alukah.net

تاسعاً: حكم تعلمه:

واجب كفائي [١].

عاشراً: مسائله:

تفسير آيات القرآن الكريم، وقد تزيد بعض التفاسير ببيان أسباب النزول، والأحكام، والإعراب، والقراءات، والفوائد المستنبطة من الآيات، وغيره ذلك من علوم القرآن.

(١) قال السيوطي ﷺ في الإتقان (٤/ ١٩٩): (وقد أجمع العلماء أنَّ التفسير من فروض الكفايات).
وفي بيان الحاجة إلىٰ تعلمه يقول الزركشي ﷺ في البرهان (١/ ١٥): (إن القرآن إنما أُنزل بلسان عربي مُبين في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر من سؤالهم النبي ﷺ في الأكثر...فنحن نحتاج إلىٰ ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة علىٰ ما لم يكونوا محتاجين إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تَعلُّم؛ فنحن أشد الناس احتياجًا إلىٰ التفسير).

www.alukah.net

الفصل الثاني

نشأة علم التفسير وتطوره

لقد أُنزِل القرآنُ الكريمُ بلسان عربي مبين، علىٰ رسول عربي أمين، وتكفَّل الله ﷻ بحفظه وبيانِه للناس، فقال جَلَّ ذِكْرُه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[القيامة:١٧-١٩] وأَمَرَ اللهُ تعالىٰ نَبِيَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أن يُبَيِّنَه للناس، فقال، سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[النحل:٤٤](١).

وكان الصحابة رضي الله عنهم يَفْهَمُونَ مُعْظَمَ معاني القرآنِ الكريم؛ لأنه نَزَل بِلُغَتِهِم، وشَهِدُوا التنزيل، وعرفوا أحواله، وأحوال مَن نَزَل فيهم من العرب واليهود، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يُبيِّنُ لهم بعض ما يُشْكِلُ عليهم من معاني المفردات، والآيات.

فلما انتقل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الرفيق الأعلىٰ قَيَّضَ الله ﷻ الصحابةَ الكرامَ رضي الله عنهم، يُبَيِّنُوا للناس معاني المفردات والآيات، مما تَلَقَّوه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، أو فهموه من لغتهم، أو علموا به لمعاصرتهم

---

(١) وهذه الآية الكريمة تدل علىٰ أن مِن القرآن الكريم ما يحتاج إلىٰ بيان وإيضاح، وأن كل ما فيه لا يفهمه كُلُّ الناس وإنما العلماء قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾، فهذا يدل علىٰ شدة احتياج الأُمة إلىٰ تعلم التفسير وتلقيه عن العلماء، وأنه ليس لأي أحد أن يتكلم في معاني القرآن ودلالاته إلا بعلم؛ حتىٰ لا يُنسَب إلىٰ الله تعالىٰ غيرُ مراده سبحانه، كما يصنع بعض الجهلة المتجرئين علىٰ تفسير كلام الله تعالىٰ بلا علم ولا هدىً ولا كتاب منير، بل رجمًا بالغيب أو بحسب ما يوافق أهواءهم وعقولهم ونظرياتهم وإلىٰ الله المشتكىٰ.

www.alukah.net

لنزول الوحي، ومعرفتهم بأسبابه، وقد عُنِيَ بعض علماء الصحابة ﷺ بتفسير القرآن الكريم وإيضاحه بحسب الحاجة، وكان أشهرهم في علم التفسير الخلفاءَ الأربعةِ وعبدَالله بن عباس، وعبدَالله بن مسعود، وأُبيَّ بن كعب، وزيدَ بن ثابت، وأبا موسىٰ الأشعري، وعبدَالله بن الزبير، وغيرَهم، وأكثرهُم رواية عبدُالله بنُ عباس، وابنُ مسعود، وعليُّ بنُ أبي طالب ﷺ.

وقد كان بعض الصحابة ﷺ يَعقِدون مجالسًا في التفسير، حتىٰ اشتهرت بعض المدارس بالتفسير وتتلمذ فيها كثير من التابعين وأشهر هذه المدارس ثلاث، وهي:

١) **مدرسة التفسير بمكة**، وكان المعلم فيها الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ﷺ.

وأشهر تلامذته: سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعكرمة.

٢) **مدرسة التفسير بالمدينة**: وكان المعلم فيها الصحابي الجليل أُبي بن كعب ﷺ.

وأشهر تلامذته: زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القُرظي.

٣) **مدرسة التفسير بالكُوفة**: وكان المعلم فيها الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ﷺ

وأشهر تلامذته: علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، ومسروق، وعامر الشعبي، وقتادة.

www.alukah.net

فحمل هؤلاء وأمثالهم علمَ التفسير وعُنُوا به، ثم نقلوه لمن بعدهم، وهكذا مَن بعدهم تلقوا هذا العلمَ وحرَّرُوه، وهذبوه، وزادوا عليه علومًا، ونقلوه لمن بعدهم، وهكذا لم يزل علمُ التفسير يحمله من كل خَلفٍ عُدُولُه مِمَّن قيضهم الله لحمل كتابه وتبيانه للناس وإلىٰ يومنا هذا والحمد لله رب العالمين[(١)].

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير (ص:١٥)، الإتقان (٤/ ٢٣٣ وما بعدها)، التفسير والمفسرون (١/ ٧٦-٩٥)، ونفحات من علوم القرآن (ص:١٢٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

الفصل الثالث

مراحل التدوين في التفسير[١]

بدأ التدوين للتفسير في آخر عصر الصحابة ﷺ، فقد كتب جماعة من التابعين ﷺ التفسير عن بعض الصحابة الكرام ﷺ، وقد وردت في ذلك العديد من الآثار:

قال ابن أبي مُليكة ﷺ: رأيت مجاهدًا سأل ابن عباس ﷺ عن تفسير القرآن، ومعه ألواحه، فقال ابن عباس: اكتب، حتىٰ سأله عن التفسير كله[٢].

وكتب ابن جُرَيج عبد الملك بن عبد العزيز ﷺ التفسير عن ابن عباس ﷺ وقد رواه عنه جماعة من أصحابه، ومنهم الحجاج بن محمد روىٰ عنه جزءًا[٣].

وكتب أبو العالية رفيع بن مهران ﷺ نسخة في التفسير عن أُبي بن كعب ﷺ[٤].

ثم اشتهر التدوين في عصر التابعين، ومن بعدهم، فكتب سعيد بن جبير ﷺ جملة في التفسير لعبد الملك بن مروان بطلب منه[٥].

---

(١) انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة (ص:٢٤٨).

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره بسند صحيح (١/ ٩٠).

(٣) قال السيوطي في الإتقان: وهو صحيح متفق عليه.

(٤) قال السيوطي ﷺ: وأما أبي بن كعب فعنه نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه وهذا إسناد صحيح، وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم منها كثيرًا، وكذا الحاكم في مستدركه وأحمد في مسنده. «الإتقان» (٤/ ٢٤٠).

(٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦/ ٣٣٢).

www.alukah.net
الألوكة

وأملىٰ الحسنُ البصريُّ رحمه الله التَّفسيرَ علىٰ تلامذتِهِ[١].

ثم تطور التدوين في التفسير؛ فظهر تفسيرٌ ليحيىٰ بن سلام (ت:٢٠٠هـ)، وقد اهتم فيه بإيراد الأخبار، وتعقبها بالنقد والاختيار، واهتم أيضًا بالنواحي الإعرابية، والقراءات، وتوجيهها.

ثم سار التدوين في التفسير بعد ذلك خطوةً أقرب إلىٰ الشمولية لمعظم آيات القرآن الكريم؛ فكتب الفراء (ت:٢٠٧هـ) كتابًا في معاني القرآن، مُتَتَبِّعًا آيات القرآن حسب كتابتها في المصحف الشريف[٢].

ثم استمر التدوين في التفسير ينمو ويزدهر، حتىٰ وصل إلىٰ مرحلة الاستقصاء لكل آية من آياته، وكان ذلك علىٰ يد جماعة من علماء السلف، ومِن أشهرهم الإمام محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)، وابن أبىٰ حاتم (ت:٣٢٧هـ)، وابن مَرْدُوَيه (ت:٤١٠هـ)، وغيرهم من الأئمة رحمهم الله.

وقد اشتملت هذه المصنفات علىٰ التفسير المأثور، عدا تفسير ابنِ جرير فإنه يزيد علىٰ المأثور بتوجيه الأقوال، وترجيحِ بعضها علىٰ بعض، وذِكرِ الإعراب، والقراءات، واستنباط الأحكام، وغير ذلك؛ فلذلك كان له المَزِيَّةُ علىٰ غيره من تفاسير المتقدمين، وكان المُعَوَّلُ عليه عند المتأخرين.

ثم استمر التدوين في التفسير يتطورُ قرنًا بعد قرنٍ وإلىٰ عصرِنا هذا، وقد تنوعت اتجاهاتُ المفسرين وطرائقُهُم في التصنيف، كما سيأتي بيانه إن شاء الله في الكلام علىٰ أنواع التفسير.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٨٩).

(٢) وهذا التدوين للتفسير من حيث الاستقلالية، وإلا فقد جُمع الشيءُ الكثير من المرويات في التفسير في كتب الحديث تبعًا لعلوم السنة، كغيره من العلوم التي استوعبتها كتب الحديث كالفقه، والعقائد، والآداب، وغيرها.

www.alukah.net

الفصل الرابع

علاقة التفسير بعلوم القرآن[١]

يعتبر علم التفسير من جُملة علوم القرآن؛ لأن علوم القرآن تشمل جميع العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم، كنزوله، وترتيبه، وجَمْعِه، وكتابته، ورسمه، وعد آياته، وتجويده، وقراءاته، وغريبه، وتفسيره، ومُحْكمِه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وإعرابه، وغير ذلك.

فعلم التفسير يعتبر أحد فروع علوم القرآن من هذه الناحية، ويُعتبر عِلمًا مستقلًا من نواحٍ أُخَر؛ فهو لم يُدوَّن ضِمن مصنفات علوم القرآن، بل كان التصنيف فيه مستقلًا ومتقدمًا علىٰ التصنيف في علوم القرآن، وقد اهتم العلماء بالتفسير خصوصًا أكثر من اهتمامهم بعلوم القرآن عمومًا؛ لمكانته بين علوم القرآن الكريم، فهو أهمها، وأعظمها قدرًا، وأعلاها شرفًا؛ لأنه المَعْنِيُّ بإيضاح معاني النص القرآني، ودلالاته؛ ولذا صارت علوم القرآن خادمةً لعلم التفسير ومضمَّنة فيه، فتجد أنَّ كثيرًا من المفسرين جمعوا علومًا كثيرة من علوم القرآن في تفاسيرهم كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، والإعراب، والأحكام وغيرها، فصار شأن كتب التفسير أعظمَ من كتب علوم القرآن لهذه الاعتبارات، فصار بذلك كالعلم المستقل بنفسه والعلم عند الله.

(١) انظر: الميسر في علوم القرآن (ص:١٧)، التفسير بالبيان المتصل في القرآن الكريم (ص:٤١).

www.alukah.net
الألوكة

الفصل الخامس

مصـادر التفسيـر[١]

تختلف مصادر التفسير مِن عَصْر لآخر ومِن مُفسِّر لآخر، وفي الجُملة فإن أشهر مصادر تفسير سبعة، وهي:

١) تفسير القرآن بالقرآن.

٢) تفسير القرآن بالسُّنَّة النبوية.

٣) تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

٤) تفسير القرآن بأقوال التابعين.

٥) تفسير القرآن باللغة العربية.

٦) تفسير القرآن بالإسرائيليات.

٧) تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد.

وإليك تفصيل ذلك:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن:

إنَّ أعظم ما يفسر به القرآن الكريم هو القرآن نفسه، فقد أجمع العلماء علىٰ اعتباره المصدر الأول للتفسير، وهو أجل أنواع التفسير وأشرفها؛ إذ لا أحد أعلم بمعنىٰ كلام الله ﷻ من الله تعالىٰ، فما أُبهِم في مكان فقد فُسِّر في مكان آخر،

(١) انظر: التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي (١/ ٣١ وما بعدها)، مدخل إلىٰ التفسير وعلوم القرآن لعبدالجواد (ص:١١٢)، الموسوعة القرآنية المتخصصة (ص:٢٥١).

www.alukah.net

وما أُوجِز في مكان فقد بُسِط في مكان آخر، فالأخذ بذلك هو مقتضىٰ المعلوم من الدِّين بالضرورة؛ إذ القرآن الكريم هو الأصل الأول، والعماد المتين لهذا الدِّين، ولا يمكن تحقق الإيمان دون الأخذ بما فيه جملة وتفصيلًا، والمتأمل في القرآن الكريم يجد أنه قد اشتمل علىٰ الإيجاز والإطناب، والإجمال والتبيين، والإطلاق والتقييد، والعموم والخصوص، فما أُوجِزَ في مكان قد يُبْسطَ في مكان آخر، وما أُجْمِلَ في موضع قد يُبيَّن في موضع آخر، وما جاء مُطْلقًا في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرىٰ، وما كان عامًا في آية قد يدخله التخصيص في آية أُخرىٰ.

ولهذا كان لا بد لمن يقومُ بتفسير كتاب الله تعالىٰ أن ينظر أولاً في القرآن الكريم، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضَها ببعض؛ ليستعينَ بما جاء مُفَصَّلا علىٰ معرفة ما جاء موجَزًا، وبما جاء مُبيَّنًا علىٰ فهم ما جاء مُجمْلاً، وليحمل المُطْلَق علىٰ المقيَّد، والعامَ علىٰ الخاص، وبهذا يكون قد فسرَّ القرآن بالقرآن، وفَهِم مرادَ اللهِ بما جاء عن الله، وهذه مرحلة لا ينبغي لأحد أن يَغْفَل عنها؛ لأن صاحب الكلام أدرىٰ بمعاني كلامه، وأعلم به مِن غيره، وقد عُني بهذه الطريقةِ جماعة من المفسرين، ومنهم الحافظ ابن كثير، والعلامة الشنقيطي رَحِمَهُمَاٱللَّهُ في تفسيرهما.

وتفسير القرآن بالقرآن علىٰ نوعين:

أحدهما: تفسير منصوص.

والآخر: تفسير مفهوم.

www.alukah.net
الألوكة

فالنوع الأول: ما جاء تفسيره بالنص القرآني فهذا لا يجوز تعديه إلىٰ غيره بلا دليل، ولا يُمكِن لأحد أن يفسِّره بمجرد الاجتهاد دون الرجوع إلىٰ بيانه من القرآن نفسه، إلا أن يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بوحي من الله تعالىٰ، **ومن أمثلة هذا النوع:**

١) تفسير الطارق بالنجم الثاقب، في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾[الطارق: ٢- ٣].

٢) تفسير التسنيم بعين ماء في الجنة، في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ۝٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾[المطففين:٢٧- ٢٨]

٣) تفسير الولي بالمؤمن التقي، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[يونس:٦٢-٦٣].

٤) تفسير المخبتين بالمتصفين بالصفات المذكورة في الآية بعدها، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣٥﴾[الحج: ٣٤- ٣٥].

٥) تفسير دحي الأرض بإخراج مائها ومرعاها وتهيئتها للسُكنىٰ، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ۝٣١﴾[النازعات:٣٠- ٣١].

وأما النوع الآخر: فهو تفسير يرجع إلىٰ فهم المفسر واجتهاده، ولهذا النوع صور كثيرة ومنها:

١) حَمْلُ المُجمَل علىٰ المبيَّن لِيُفسَّر به، ومِن أمثلته: قوله تعالىٰ في سورة المائدة الآية الأولىٰ: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ فسرتها الآية

www.alukah.net

الثالثة من السورة نفسها وهي قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾[المائدة: ٣].

٢) حمل المُطْلق علىٰ المُقيَّد لِيُفسَّر به، ومن أمثلته: آية الظِّهَار مع آية القَتْل، ففي كفَّارة الظِّهَار يقول تعالىٰ في سورة المجادلة: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾[المجادلة:٣]، وفي كفَّارة القتل، يقول سبحانه في سورة النساء: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[النساء:٩٢]، فقُيِّدت الرقبة في الظِّهار بالإيمان حَمْلًا علىٰ القيد في آية كفارة القتل.

٣) حمل العام علىٰ الخاص لِيُفسَّر به، ومن أمثلته قوله تعالىٰ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[النساء:١٢٣] فإن ما فيها مِن عموم قد خُصِّصَ بمثل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾[الشورىٰ:٣٠].

٤) تفسير لفظة بلفظة: وذلك بأن يَرد في سياقٍ لفظٌ غريبٌ أو موهم خلاف المقصود فيأتي في موضع آخر ما يُبين معنىٰ تلك اللفظة والمقصود بها فيُفسَّر به، ومثاله قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾[هود:٨٢]، وفي موضع آخر قال: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾[الذاريات:٣٣] والآيتان وردتا في شأن قوم لوط، فاتضح أن معنىٰ سجين: طين.

ومنه تفسيره الظلم في قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم﴾[الأنعام:٨٢] بالشرك لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣][(١)].

(١) وقد صح هذا التفسير عن النبي ﷺ في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ

www.alukah.net

تفسير معنىً بمعنىٰ: مثل تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾[النساء:٤٢] بقوله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾[النبأ:٤٠] ففُسِّر التسوية بالأرض بأن يصير تُرابًا.

٥) التفسير بالقراءات المتواترة أو الشاذة: فبعض القراءات تختلف مع غيرها في اللفظ وتتفق في المعنىٰ، فقراءة ابن مسعود ﷺ لقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ تُفسِّر لفظ الزخرف في القراءة المشهورة: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾[الإسراء:٩٣]

قال مُجَاهِدُ بن جَبر ﷺ: كُنْتُ لَا أَدْرِي مَا الزُّخْرُفُ؟ حَتَّىٰ وَجَدْتُ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ (أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ)[(١)]

وقد رُوي عن مجاهد ﷺ أنه قال: لو كنتُ قرأتُ قراءة ابن مسعود ﷺ قبل أن أسأل ابن عباس ﷺ ما احتجتُ أن أسأله عن كثير مما سألته عنه[(٢)].

٦) **الجمع بين ما يُتوهَّم أنه مختلف**: فخَلْقُ آدمَ مثلًا جاء في بعض الآيات أنه من تراب، وفي أخرىٰ من طين، وفي غيرها من حَمأ مسنون، ومن صلصال!

وهذا ليس اختلافًا وإنما فيه ذِكْرُ الأطوار التي مَرَّ بها خلق آدم ﷺ مِن مَبدأ خلقه إلىٰ أن نُفِخ فيه الرُّوح[(٣)].

﴿يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[الأنعام:٨٢] شق ذلك علىٰ المسلمين، وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣].

(١) فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ص:٣٠٣).

(٢) التفسير والمفسرون (١/ ٤٦).

(٣) ولهذا النوع نظائر كثيرة ذكرها العلامة الشنقيطي في كتابه: "دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب.

www.alukah.net

حكم تفسير القرآن بالقرآن:

يختلف حكم تفسير القرآن بالقرآن باختلاف نوعه؛ فإن كان من النوع الأول فهو أصح طرق التفسير، وأقواها حجيه؛ لأن تفسير المتكلم لكلامه وإيضاحه لمقصوده من كلامه مُقَدَّمٌ علىٰ مَن سواه، وإن كان من النوع الآخر فهو من أصح طرق التفسير أيضًا وأولاها بالتقديم، ولكنه دون النوع الأول في الحُجية، وما صح من التفسير النبوي فهو مُقَدَّمٌ عليه، وبعض صوره أقوىٰ من بعض، بل يمكن إلحاقها بالنوع الأول كحَمل المُجْمَل علىٰ المبيَّن وتفسير لفظة بلفظة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: فإنْ قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب أنَّ أصح الطرق في ذلك: أن يُفسَّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنَّه قد فُسِّر في موضع آخر، وما أختصر في مكان بسط في موضع آخر[(١)].

(١) مقدمة في أصول التفسير (ص:٨٢).

www.alukah.net
الألوكة

ثانيًا: تفسير القرآن بالسنة النبوية:

المصدر الثاني من مصادر التفسير هو التفسير النبوي، وهو أهم المصادر وأجلها بعد تفسير القرآن بالقرآن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإنْ أعياكَ ذلك -أي: تفسير القرآن بالقرآن- فعليك بالسنة، فإنَّها شارحة للقرآن، وموضِّحة له، بل قد قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي: كل ما حكم به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فهو مما فهمه من القرآن(١).

وقد بَيَّن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الكثير من معاني القرآن، ولم يُبين كل معاني القرآن؛ لأن مِن القرآن ما استأثر الله بعِلمه، ومنه ما تعرفه العَرَبُ من لُغاتها فهو واضح المعنىٰ لديهم، ومصادر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لتفسير القرآن ثلاثة وهي تفسيره القرآن بالقرآن، وتفسيره القرآن بوحي من الله تعالىٰ، وتفسيره القرآن باللغة العربية، وإليك بيان ذلك:

أولًا: تفسير القرآن بالقرآن نفسه:

وهذا مبني علىٰ فهمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للقرآن الكريم، فقد يُفسِّر لفظة بلفظة أخرىٰ، أو يحمل المجمل علىٰ المبين، أو العام علىٰ الخاص، أو المطلق علىٰ المقيد، ومن أمثلة هذا النوع: ما جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢]، شق ذلك علىٰ المسلمين، وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال

(١) مقدمة في أصول التفسير (ص:٣٩).

www.alukah.net

رسول الله ﷺ: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]»[(١)].

ثانيًا: تفسير القرآن بوحي من الله تعالى:

وهذا فيما لا يمكن التوصل لمعرفته بالفهم والاجتهاد، فقد تكفل الله تعالىٰ لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بحفظ القرآن في صدره وبيانه له، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[القيامة:١٧-١٩]، فما لا يمكن معرفته إلا بوحي من الله تعالىٰ فقد أُوحي إليه بيانه؛ ليبينه للناس؛ امتثالًا لقوله تعالىٰ، ومن أمثلة هذا النوع: ما أخرجه الشيخان عن أبي ذَر الغِفَارِي رضي الله عنه قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾[يس:٣٨] قَالَ: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ العَرْشِ»[(٢)] فهذا من علم الغيب الذي لا يُعرَف إلا عن طريق الوحي.

ثالثًا: تفسير القرآن باللغة:

فقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب ليُعقَل ويُتدبَّر ويُعمَل بما فيه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف:٢] وقد عَلِمَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ معاني القرآن الكريم؛ لكونها بلغته، وفسَّر ألفاظًا مِن القرآن بالرجوع إلىٰ معناها في لغة العرب، ومن أمثلة هذا النوع: ما رواه مسلم عن قطبة بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقرأ في صلاة الصبح: (ق)،

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٢)، ومسلم (١٢٤).

(٢) أخرجه: البخاري (٤٨٠٣)، ومسلم (١٥٩).

www.alukah.net
الألوكة

فلما أتى على هذه الآية: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾[ق:١٠] قال قطبة: فجعلت أقول له: ما بُسُوقُهَا؟ فقال: (طُولُها)[١].

وقد اهتم كثير من المفسرين بالتفسير المأثور عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ ومنهم: ابن جرير والبغوي والقرطبي وابن كثير والشوكاني وغيرهم.

وتفسير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ للقرآن الكريم له أربع صور:[٢]

أولًا: أن يبتدأ بالتفسير فينص على تفسير آية أو لفظة، وله أسلوبان:

١) أن يبتدئ بتلاوة الآية ثم يُفسِّرها.

٢) أن يبتدئ بتفسير الآية ثم يتلوها.

ثانيًا: أن يُشْكِل على الصحابة فهم آية فيفسرها لهم.

ثالثًا: أن يأتي في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيرًا للآية.

رابعًا: أن يعمل بما تدل عليه الآية فيكون تفسيراً عملياً، ويُسمَّى تأويلًا:

❖ **وإليك أمثلة لهذه الأنواع:**

أولًا: أن يبتدأ بالتفسير فينص على تفسير آية أو لفظة، وله أسلوبان:

١) أن يبتدئ بتلاوة الآية ثم يُفسِّرها، مثاله: ما رواه مسلم عن عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾[الأنفال:٦٠] **«ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»**[٣].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك والبزار وغيرهما وفيه ضعف، انظر: التفسير النبوي (٢/ ٧١٠).

(٢) فصول في أصول التفسير (ص:٤٣-٤٥).

(٣) أخرجه: مسلم (١٩٧١).

www.alukah.net
الألوكة

٢) أن يبتدئ بتفسير الآية ثم يتلوها، مثاله: ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**إِذَا أحبَّ الله عبدًا نَادَىٰ: يَا جِبْرِيل إِنِّي أَحْبَبْت فلانًا فَأَحِبَّه، قَال: فَيُنَادِي فِي السَّمَاء، ثُمّ تَنْزِل لَه الْمَحَبَّة فِي أَهْل الأَرْض**، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[مريم:٩٦]، **وَإِذَا أَبْغَض الله عبدًا نَادَىٰ: يَا جِبْرِيل، إِنِّي أَبْغَضْت فلانًا فَيُنَادَىٰ فِي السَّمَاء، ثُمّ تَنْزِل لَه الْبَغْضَاء فِي الأَرْض**»[(١)].

ثانيًا: أن يُشكل علىٰ الصحابة فهم آية فيفسرها لهم:

ومن أمثلته: ما رواه البخاري عن عبد اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢] شق ذلك علىٰ المسلمين فقالوا: يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه؟! قال: «**ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**[لقمان:١٣]»[(٢)].

ثالثًا: أن يذكر في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيرًا للآية:

من أمثلته: ما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّم يَوْمئِذ لَهَا سَبْعُون أَلْف زِمَام، لِكُلّ زِمَام سَبْعُون أَلْف مِلْك يَجُرُّونَهَا**»، فهذا يصلح تفسيرًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[الفجر:٢٣][(٣)].

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٦٣٧).

(٢) أخرجه: البخاري (٣٢)، ومسلم (١٢٤).

(٣) أخرجه: مسلم (٢٨٤٢).

www.alukah.net
الألوكة

رابعًا: أن يعمل بما تدل عليه الآية فيكون تفسيرًا عمليًّا ويُسمَّىٰ تأويلًا:

ومن أمثلته، ما جاء في الصحيحين عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ما صلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[النصر:١] إلا يقول فيها: «**سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»، وفي رواية عند البخاري قالت: كان يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» يتأول القرآن(١).

حكم التفسير النبوي:

إذا صح التفسير عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فيُكتَفَىٰ به ولا حاجة إلا قول غيره من الناس فضلًا عن اعتماده أو تقديمه عليه؛ لأن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أعلمُ الناس بكلام الله تعالىٰ، فهو مُنَزَّلٌ عليه ومأمورٌ بتبليغه وبيانه للناس، وما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في تفسير القرآن إنما هو وحي من الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[النجم:٣- ٤].

قال المفسر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنْ صَحَّ فَهُوَ أَعْلَىٰ مَا يُقال، ولا يبقىٰ لأحد معه مقال(٢).

---

(١) أخرجه: البخاري (٨١٧، ٤٩٦٨)، ومسلم (٤٨٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦﴾[العاديات:٦] من سورة العاديات (١٠/ ١٤٣).

www.alukah.net

ثالثاً: التفسير بأقوال الصحابة رضي الله عنهم[١]:

وهذا هو المصدر الثالث من مصادر التفسير، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلىٰ أقوال الصحابة، فإنهم أدرىٰ بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها؛ ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح[٢].

فالصحابة رضي الله عنهم أدرىٰ بتفسير القرآن الكريم ممن بعدهم؛ فقد بَيَّن لهم النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ معاني القرآن، وشرح لهم مجمله، وأزال مشكله، وقد كان لهم خمسة مصادر لتفسير القرآن الكريم وهي:

١) القرآن الكريم.

٢) السنة النبوية.

٣) اللغة العربية.

٤) الإسرائيليات.

٥) الفهم والاجتهاد.

وهم في كل هذه المصادر أحسن من غيرهم؛ لأنهم شَهِدوا التنزيل وعرفوا أحواله وأحوال من نزل فيهم القرآن من العرب واليهود، ولأنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، ولحسن أفهامهم وسلامة مقاصدهم، ولا سيما كبراؤهم وعلماؤهم كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وأمثالهم رضي الله عنهم.

---

(١) فصول في أصول التفسير (ص:٤٥-٥١).

(٢) المقدمة في أصول التفسير (ص:٤٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٩).

www.alukah.net

فمن أمثلة تفسيرهم بالقرآن ما رواه ابن جرير عن خالد بن عرعر قال سمعت عليًّا ﷺ يقول: في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾[الطور:٥]، السقف المرفوع: هو السماء، وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفًا مَّحۡفُوظًا ۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ﴾[الأنبياء:٣٢](١).

وفسَّر عمر بن الخطاب ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾[التكوير:٧] فقال: هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة، وقال: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾[الصافات:٢٢] قال: «ضرباءهم»(٢).

ومن أمثلة تفسيرهم بالسنة ما أخرجه البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾[الانشقاق:١٩]، قال: حالا بعد حال، قال هذا نبيكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ(٣).

ومن أمثلة تفسيرهم باللغة ما رواه ابن جرير عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾[الانشقاق:٢]، قال: سَمِعت لربها(٤).

وروىٰ البخاري عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[الضحىٰ:٣] قال: مَا تَرَكَكَ وَمَا أَبْغَضَكَ(٥).

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٧/ ١٨).
(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٣٠/ ٦٩).
(٣) أخرجه: البخاري (٤٩٤٠).
(٤) تفسير ابن جرير الطبري (٣٠/ ١١٣).
(٥) أخرجه: البخاري (٤٩٥٠).

www.alukah.net

ومن أمثلة أخذهم بأقوال أهل الكتاب: ما رواه ابن جرير عن الحسن بن الفُرات عن أبيه قال: كتب ابن عباس ﷺ إلىٰ أبي الجلد[١]، يسأله عن الرعد، فقال: الرعد الريح[٢].

وروىٰ ابن جرير في تفسيره عن عليّ بن أبي طالب ﷺ أنه قال: لهلال الهَجرِيّ: ما تجدون الحُقْب في كتاب الله المنزل؟ قال: نجد ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا، كل شهر ثلاثون يوما، كل يوم ألف سنة[٣].

وروىٰ الطبري عن عثمان بن حاضر قال: سمعت عبد الله بن عباس ﷺ يقول: قرأ معاوية هذه الآية فقال: ﴿عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، فقال ابن عباس: إنها ﴿عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾[الكهف:٨٦]، قال: فجعلا كعبًا بينهما، قال: فأرسلا إلىٰ كعب الأحبار، فسألاه، فقال كعب: أما الشمس فإنها تغيب في ثأط، فكانت علىٰ ما قال ابن عباس. والثأط: الطين[٤].

ومن أمثلة تفسيرهم بالاجتهاد ما رواه ابن جرير عن عليّ بن أبي طالب ﷺ، في قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ قال: محمد ﷺ، وقوله: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[الزمر:٣٣]، قال: أبو بكر ﷺ[٥].

---

(١) أبو الجلد جيلان بن فروة الأسدي البصري تابعي ثقة صاحب كتب التوراة ونحوها. الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٢/ ٥٤٧).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١/ ٣٤١).

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (٢٤/ ١٦٤).

(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ١١).

(٥) تفسير ابن جرير الطبري (٢١/ ٢٩٠).

www.alukah.net
الألوكة

وما رواه الإمام البخاري عن ابن عباس ﷺ أنه قال: «خلق الله الأرض في يومين، ثم استوىٰ إلىٰ السماء فسواهنّ في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعىٰ، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينه في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾[النازعات:٣٠]، وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾[فصلت:٩] فجعل الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السماء في يومين» جمعا بين الآيات في سورتي النازعات وفصلت(١).

وروىٰ ابن جرير بسنده إلىٰ سعيد بن جبير، عن ابن عباس حدثه قال: «بينما أنا في الحِجر جالسٌ، أتاني رجل يسأل عن قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾[العاديات:١] فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلىٰ الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فانفتل عني، فذهب إلىٰ علي بن أبي طالب ﷺ وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾ فقال: سألتَ عنها أحدًا قبلي؟ قال: نعم، سألت عنها ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي؛ فلما وقفت علىٰ رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به، والله لكانت أول غزوة في الإسلام لبدر، وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد فكيف تكون العاديات ضبحا! إنما العاديات ضبحا من

(١) آيات سورة فصلت قوله سبحانه: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[فصلت:٩-١١]، وآيات سورة النازعات قوله تعالىٰ: قال تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٣﴾﴾[النازعات:٢٧-٣٣].

www.alukah.net

عرفة إلىٰ مزدلفة إلىٰ منىٰ ؛ قال ابن عباس: فنزعت عن قولي، ورجعت إلىٰ الذي قال علي رضي الله عنه»[(١)].

وقد اهتم جماعة من المفسرين بتفسير الصحابة رضي الله عنهم ومنهم ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم وابن كثير والسيوطي في تفسيره الدر المنثور وغيرهم.

حكم تفسير الصحابي[(٢)]:

تفسير الصحابي للقرآن الكريم له أقسام، وكل قسم له حكم يخصه، وإليك بيانه:

أولًا: ما له حُكم الرفع، قال أبو عبد الله الحاكم رحمه الله: تفسير الصحابة عندنا في حكم المرفوع[(٣)].

قلتُ: وهذا يشمل أسباب النزول، والإخبار عن المغيَّبات، وحكم هذا: القَبُول إذا صح الخبر فيه؛ لأن هذا مما لا مجال للاجتهاد فيه، ويلحق بهذا ما أجمع عليه الصحابة؛ لأن الإجماع حجة، فيكون بقوة المرفوع، ومن لم يجعله مرفوعًا فلا ريب أنه عنده أصح مِن تفسير مَن بعدهم، لأنهم أعلم الأمة بتفسير القرآن بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

فمن أمثلة أسباب النزول؛ ما رواه الشيخان عن جابر رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول: من أتىٰ امرأته من دُبرها في قُبُلها جاء الولد أحول، فأنزل الله عز وجل: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[البقرة:٢٢٣][(٤)].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٤ / ٥٥٩).

(٢) فصول في أصول التفسير للشيخ مساعد الطيار (ص:٥٠-٥١) بتصرف يسير.

(٣) انظر: "معرفة علوم الحديث" (١٤٩)، و"المستدرك" (٢/ ٢٥٨ و ٢٦٣ و ٣٤٥).

(٤) أخرجه: البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥).

www.alukah.net

قال أبو عبد الله الحاكم ﷺ: هذا الحديث وأشباهه مُسنَدٌ عن آخرها وليست بموقوفة؛ فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند[(١)].

ثانيًا: ما رجعوا فيه إلىٰ لغتهم، وحكم هذا القبول كذلك؛ لأنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وهم أعلم بلغتهم من غيرهم.

ثالثًا: ما رجعوا فيه إلىٰ أهل الكتاب، وهذا له حُكم الإسرائيليات.

رابعًا: ما اجتهدوا فيه، وهذا فيه تفصيل:

١) أن يتوافق اجتهادهم؛ فيكون حُجَّة.

٢) أن يختلف اجتهادهم؛ فَحينئذٍ يُرَجَّحُ بين أقوالهم.

٣) أن يَرِدَ التفسير عن أحدهم، ولا يعلم له مخالف؛ فهذا ينبغي الأخذ به، خصوصًا إذا حَفَّت به قرائن القَبول؛ كأن يكون من علماء الصحابة المُشتهرين بالتفسير؛ كعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس ﷺ، أو تلقاه من جاء بعدهم بالقبول وأخذوا به، وغيرها من القرائن.

(١) معرفة علوم الحديث (ص:٢٠).

www.alukah.net

رابعاً: التفسير بأقوال التابعين رحمهم الله[(١)]:

لقد احتج العلماء بأقوال التابعين في التفسير؛ لأنهم تلقوا التفسير عن الصحابة مباشرة، وكانوا في عصر الاحتجاج اللغوي، فلم تفسد ألسنتهم بالعُجمة، وكان لهم من الفهم وسلامة المقصد ما لهم، وكل هذا جعل من جاء بعدهم يرجع إلىٰ أقوالهم في التفسير، ويعتمدُها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلىٰ أقوال التابعين[(٢)].

- **ومصادرهم في التفسير ستة وهي:**

١) القرآن الكريم.

٢) السنة النبوية.

٣) تفسير الصحابة.

٤) اللغة العربية.

٥) الإسرائيليات.

٦) الفهم والاجتهاد.

- **فمن أمثلة تفسيرهم بالقرآن:** ما رواه ابن جرير في تفسير عن مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾[عبس:٢٠] قال: هو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان:٣][(٣)].

---

(١) فصول في أصول التفسير (ص:٥٢- ٥٥).

(٢) المقدمة في أصول التفسير (ص:٤٤).

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (٢٤/ ٢٢٤).

www.alukah.net
الألوكة

وروى ابن جرير عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ظِلِّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾[المرسلات:٣٠] قال: هو كقوله: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[الكهف:٢٩] قال: والسرادق: دخان النار، فأحاط بهم سرادقها، ثم تفرّق، فكان ثلاث شعب(١).

- **ومن أمثلة تفسيرهم بالسنة النبوية:** ما رواه ابن جرير عن الحسن البصري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾[المائدة:٢٧]، قال الحسن: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله ضَرَب لكُم ابْنِي آدَم مثلاً، فَخُذُوا مَن خَيْرُهُم وَدَعُوا الشَّر**»(٢).

وروى ابن جرير عن عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾[النساء:٣٤] قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في خطبته: «**ضربًا غَيْرَ مُبَرِّح**»(٣).

وروى عن ابن جُريج في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾[البقرة:٦٧]، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا أُمِرُوا بِأَدْنَىٰ بَقَرَة، وَلَكَنَّهُم لَمَّا شَدَّدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِم شُدد الله عَلَيْهِم؛ وَأَيْم الله لَو أَنَّهُم لَم يَسْتَثْنُوا لَمَّا بَيَّنَت لَهُم آخَر الْأَبَد**»(٤).

وهذه الآثار مرسلة؛ لأنها من رواية التابعي مباشرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فتارة يروونه مُرسَلًا اختصارًا، وتارة يروونه مُسْنَدًا عن الصحابي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأمثلته كثيرة في كتب التفسير بالمأثور.

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٤/ ١٣٦).
(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٠/ ٢٣٠).
(٣) تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٣١٥).
(٤) تفسير ابن جرير الطبري (٢/ ٢٠٥).

www.alukah.net

• **ومن أمثلة تفسيرهم بأقوال الصحابة:** ما رواه ابن جرير بسنده عن الضحاك في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[ق:٣٠] قال: كان ابن عباس ﷺ يقول: «إن الله المِلك قد سبقت منه كلمة ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ لا يُلقَىٰ فيها شيء إلا ذهب فيها، لا يملؤها شيء، حتىٰ إذا لم يبق من أهلها أحد إلا دخلها - وهي لا يملؤها شيء - أتاها الرب فوضع قدمه عليها، ثم قال لها: هل امتلأت يا جهنم؟ فتقول: قط قط، قد امتلأت»[(١)].

وروىٰ ابن جرير عن مجاهد ﷺ قال: قال ابن عباس ﷺ: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾[البقرة:٤٨] قال: بدل، والبدل: الفدية[(٢)].

وروىٰ عن أبي العالية ﷺ، قال: حدثني أبيّ بن كعب ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[التكوير:٤] قال: إذا أهملها أهلها[(٣)].

وروىٰ عن مسروق ﷺ قال: سألت ابن مسعود ﷺ عن قوله تعالىٰ: ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾[المائدة:٦٢] قال: الرِّشىٰ[(٤)].

• **ومن أمثلة تفسيرهم باللغة:** ما رواه ابن جرير في تفسيره عن مجاهد، وسعيد بن جُبير، وعكرمة، والضحاك، والحسن، قالوا: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الذي لا جوف له[(٥)].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٢/ ٣٦٠).
(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١/ ٣٤).
(٣) تفسير ابن جرير الطبري (٢٤/ ٢٤٠).
(٤) تفسير ابن جرير الطبري (١٠/ ٣٢١).
(٥) تفسير ابن جرير الطبري (٢٤/ ٦٩٠).

www.alukah.net

وروىٰ ابن جرير عن ابن زيد، في قوله تعالىٰ: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ قال: في رقبتها[١].

- **ومن أمثلة تفسيرهم بالإسرائيليات**: ما رواه ابن جرير عن بعض التابعين في مائدة النصارىٰ، قال أبو عبد الرحمن السُّلمي ﷺ: نزلت المائدة خُبزًا وسَمكًا.

وقال عطية ﷺ: المائدة سمكة فيها طعم كل الطعام[٢].

وروىٰ ابن جرير عن قتادة ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾[البقرة:٧٣] قال: ذُكِر لنا أنهم ضربوه بفخذها، فأحياه الله فأنبأ بقاتله الذي قتله، وتكلم، ثم مات[٣].

- **وأما تفسيرهم بالرأي والاجتهاد**: فقد أَعْمَلوا فهمهم واجتهدوا في تفسير القرآن الكريم معتمدين في ذلك علىٰ مصادرهم المتقدمة، وربما اختلفوا في تفسير بعض الآيات؛ لتفاوت علومهم، وأفهامهم، ومصادر اجتهادهم، ومن أمثلة ذلك:

اختلافهم في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾[عبس:٢٠]، قال السُّدي، وقتادة: يسَّر خروجه من بطن أمه، وقال مجاهد، والحسن: يسَّر سبيل الخير والشر.

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٢٤/ ٦٨٠).
(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١١/ ٢٢٧).
(٣) تفسير ابن جرير الطبري (٢/ ٢٣٠).

www.alukah.net

واختلافهم في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾[النازعات:١]، قال مسروق: هي الملائكة، وقال مجاهد: هو الموت، وقال قتادة والحسن: هي النجوم.

وكاختلافهم في معنىٰ القُرْء، والبروج، والعاديات، وغيره مما تجده في كتب التفسير.

حكم تفسير التابعي[1]:

لتفسير التابعي أقسام كما سبق في تفسير الصحابي، ولذا لا يحكم عليه بالعموم من حيث القبول والرد، وهذه الأقسام هي:

١- ما يرفعه التابعي، وهذا يشمل أسباب النزول والمغيبات، فمثل هذا القول لا يقبل؛ لأنه من قبيل المراسيل وهي ضعيفة.

٢- ما رجعوا فيه إلىٰ أهل الكتاب، وهذا له حكم الإسرائيليات.

٣- ما أجمعوا عليه، وهذا يكون حجة.

٤- ما اختلفوا فيه، وفي هذا القسم لا يكون قول أحدهم حجة علىٰ الآخر، ويعمل بالأرجح منها.

٥- أن يَرد التفسير عن أحدهم، ولا يُعلَم له مخالف، وهذا أقل في الرتبة من الوارد عن الصحابي إذا لم يُعلَم له مخالف، لكنه أعلىٰ من قول من تأخر عنهم.

(١) فصول في أصول التفسير (ص:٥٧)، بتصرف يسير.

www.alukah.net
الألوكة

خامساً: التفسير باللغة العربية:

وقد كان الصحابة والتابعون يعتمدون كثيرًا علىٰ اللغة في تفاسيرهم، ويستشهدون بأشعار العرب وأساليبها لبيان المعاني اللغوية في القرآن.

وقد حكىٰ صاحب كتاب «مقدمة المباني» إجماع الصحابة علىٰ جواز تفسير القرآن باللغة(١).

بل شدد السَّلف علىٰ مَن فسَّر القرآن وهو غير عالم بلغة العرب؛ قال مجاهد بن جبر ﷺ: «لا يَحِلُّ لأحدٍ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أنْ يتكلمَ في كتابِ اللهِ، إذا لم يكنْ عالمًا بلغاتِ العربِ»(٢).

وقال مالك بن أنس ﷺ: «لا أُوتَىٰ برجل يُفسِّر كلام الله وهو لا يعرف لغة العرب إلا جعلته نَكالاً»(٣).

وسبب اعتبار التفسير بلغة العرب مصدرًا مِن مصادر التفسير هو: نزول القرآن بلغتهم، واعتماده أساليبهم في الخطاب، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف:٢]، وقال الله ﷻ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[الزمر:٢٨]، وقال الله تعالىٰ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء:١٩٥]، وقال الله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[فصلت:٣] وغيرها من الآيات.

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن (ص:٢٠١)، قال: «ومن الدليل علىٰ ذلك أيضًا إجماع أصحاب رسول الله ﷺ علىٰ تفسير القرآن علىٰ شرائط اللغة»، ثم ساق أمثلة لذلك.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٢٩٢).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٣٢).

www.alukah.net

ومن التفاسير التي اهتمت بالناحية اللغوية، وإعراب الآيات: كتاب معاني القرآن للفراء، ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنىٰ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج وغيرها.

حكم التفسير باللغة[(١)]:

التَّفسيرَ باللُّغةِ له صورتان:

أولًا: ما لا يَحْتَمِلُ إلاَّ معنىً واحدًا، وهذا أَشْبَهُ بالمصادرِ النَّقليَّةِ في قوة الحُجِيَّة؛ لعدمِ وجودِ احتمالٍ آخرَ في تفسيرِه يحتاجُ إلىٰ استدلالٍ، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[الكوثر: ٣]، لم يقعْ خلافٌ في أنَّ تفسيرَ ﴿شَانِئَكَ﴾: مُبْغِضُكَ وما في معناها؛ لأنَّه لا يوجد لمعنىٰ الشانِئِ في لغةِ العربِ غيرُ هذا المعنىٰ، فالتَّفسيرُ اللُّغويُّ في مثلِ هذه الحالةِ أشبهُ بأنْ يكونَ تفسيرًا نقليًا مأثورًا، لأنه لا أَثَرَ في مِثْلِ هذا المثالِ لاجتهادِ المفسِّرِ في اختيارِ أحدِ المحتمَلاتِ اللُّغويَّةِ.

ومثلها أيضًا: اتفاقهم في تفسير: (الرَّيب) بالشَّك، و(الفُلك) بالسفينة، و(الجِيد) بالعُنُق.. غيرها.

ثانيًا: ما يَحتمِلُ أكثرَ مِن معنىٰ، وحَمْلُه علىٰ أحدِ هذهِ المحتمَلاتِ يَعتمِدُ علىٰ الرَّأيِ والاجتهادِ، فهذا مِن الاستدلالِ وهو داخل في التفسير بالرأي والاجتهاد، كقوله تعالىٰ: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾[الواقعة: ٥٥] فجاء في معنىٰ «الهِيمِ» قَولان:

القولُ الأوَّلُ: (الإبلُ العِطاشُ)، قالَه: ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وعِكرمةُ، والضَّحَّاكُ، وقَتادةُ.

---

(١) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم (ص:٦٣-٦٧).

www.alukah.net

القولُ الثاني: («السَّهْلَةِ» يعني الرَّملُ)، قاله: سُفيانُ الثَّوريِّ[١].

ومرجِعُ الخلافِ في هذا التَّفسيرِ هو الاحتمالُ اللُّغويِّ في كلمةِ الهِيمِ؛ لأنها تحتملُ هذا المعنىٰ وذاك علىٰ سبيلِ الاشتراكِ اللُّغويِّ في المدلولِ، ومِن هنا فاختيارُ المفسِّرِ أحدَ المعنيينِ المحتمَلينِ هو اجتهادٌ منه والله أعلم، **ومثلها أيضًا**: اختلافهم في تفسير (عَسْعَس): بالإقبال أو الإدبار، وتفسير: (قَسْوَرة): بالأسد أو الرَّامي، وتفسير: (القُرْء) بالحَيض أو الطُّهر.. وغيرها.

- **أسلوب المفسرين في تفسير ألفاظ القرآن الكريم**[٢]:

يتخذ المفسرون عادة أسلوبًا في تفسير ألفاظ القرآن الكريم، وذلك بالنظر إلىٰ سياق الآية والقرائن دون مجرد النظر إلىٰ خصوص اللفظة؛ ومِن هنا تراهم تارة يُفسِّرون اللفظة بالمعنىٰ الحقيقي، وتارة بالمعنىٰ المجازي، وتارة يفسرونها بالمعنىٰ الشرعي أو العُرفي دون اللغوي؛ لكون سياق الآية يدل علىٰ إرادة هذا المعنىٰ دون غيره.

ودلالة الألفاظ علىٰ نوعين: حقيقية ومجازية، فأما دلالة الألفاظ الحقيقة فتنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام: لغوية وشرعية وعُرفية.

فالمقصود بالحقيقة اللغوية: اللفظ المستعمل فيما وضع له في لغة العرب.

والمقصود بالحقيقة الشرعية: اللفظ المستعمل فيما وضع له في الشَّرع.

والمقصود بالحقيقة العُرفية: اللفظ المستعمل فيما وضع له في العُرف.

---

(١) تفسير ابن جرير (٢٢/ ٣٤٤).

(٢) انظر: فصول في أصول التفسير (ص:١٠٧ - ١١١)، الأصول من علم الأصول (ص:٢٦ - ٢٧).

www.alukah.net

فكلمة (**الصلاة**) مثلًا تعني في اللغة (الدعاء)، وتعني في الشرع: العبادة المفتتحة بالتكبير، والمختتمة بالتسليم.

فإذا جاءت في القرآن الكريم في سياق يدل على إرادة المعنى اللغوي فُسِّرت به، وإذا جاءت في سياق يدل على إرادة المعنى الشرعي فُسِّرت به، فمثال مجيئها بالمعنى اللغوي قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[التوبة:١٠٣].

ومثال مجيئها بالمعنى الشرعي قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت:٤٥].

وهكذا كلمة (الساعة) تعني في اللغة الوقت من الزمن، وتعني في الشرع يوم القيامة، فإذا جاءت في القرآن الكريم في سياق يدل على إرادة المعنى اللغوي فُسِّرت به، وإذا جاءت في سياق يدل على إرادة المعنى الشرعي فُسِّرت به، فمثال مجيئها بالمعنى اللغوي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[الأعراف:٣٤]، ومثال مجيئها بالمعنى الشرعي قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[القمر:١]، واجتمع المعنيان في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[الروم:٥٥].

وكلمة (الدابة) تعني في اللغة كلما يَدُبُّ على الأرض، وتعني في العُرف الغالب ما يُركب عليه من الحيوانات كالخيل والبغال والحمير، فإذا جاءت في القرآن الكريم في سياق يدل على إرادة المعنى اللغوي فُسِّرت به، وإذا جاءت في سياق يدل على إرادة المعنى العُرفي فُسِّرت به، فمثال مجيئها بالمعنى اللغوي قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود:٦]، ومثال مجيئها

www.alukah.net
الألوكة

بالمعنىٰ العُرفي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[النمل:٨٢].

وأما دلالة الألفاظ المجازية فتعني: استعمال اللفظ في غير ما وضع له حقيقةً وهو أنواع فمنها:

١) **تفسير اللفظة بجزء معناها**، نحو قوله تعالىٰ: ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾[نوح:٧]، قالوا: يعني جعلوا أناملهم، وهذا مِن باب ذِكر الكُل وإرادة الجزء.

٢) **التفسير لجزء المعنىٰ بِكُلِّه**، نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[البقرة:٤٣]، قالوا: يعني صَلُّوا مع المُصَلِّين، وهذا مِن باب ذِكر الجزء وإرادة الكُل.

٣) **التفسير باللازم أو النتيجة**: وهو أحد دلالات الألفاظ العقلية، والمراد به أن المعنىٰ المستفاد لم يدل عليه اللفظ مباشرة، ولكن يلزم منه هذا المعنىٰ المستفاد عقلاً أو عُرفًا؛ كالكتابة تستلزم كاتِبًا، ومن أمثلته: تفسير: ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ بـ: المحبوب من أوليائه، فالودود: أي الواد لأوليائه والمُحِب لهم؛ ويلزم من محبته لهم أن يُحِبُّوه، وهذا تفسير باللازم.

ومنه أيضًا تفسير الحسن البصري لقوله تعالىٰ: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[الواقعة:٦٥]، قال: تندمون، وهذا تفسير بالنتيجة واللازم، فحقيقة المعنىٰ تُزيلون عنكم التَّفَكُّه وهي المَسَرَّة والانبساط، فإن زال التَفَكُّه خَلَفَهُ ضِدُّه وهو الندم والحسرة.

www.alukah.net

٤) التفسير بالسَّبَب، ومنه تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[المدثر:٥][(١)] أي: الأصنام؛ لأنها سبب لحصول الرِّجز وهو العذاب، وكقوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[مريم:٥٩]، أي: عذابًا بسبب غيِّهم، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[الفرقان:٦٨]، أي: عذابا بسبب إثمه.

(١) قُرِئت الرُّجز بضم الراء وكسرها، والكسر قراءة الجمهور.

www.alukah.net

سادساً: التفسير بالإسرائيليات[١]:

المصدر السادس للتفسير هي الأقوال المأخوذة عن أهل الكتاب مِن بني إسرائيل، وذلك أن القرآن الكريم يتوافق مع الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل والزبور في بعض الأحكام والقصص والأخبار، ولم يرد في القرآن الكريم ذِكر التفاصيل في بعض المسائل أو القصص والأخبار، فما كان مِن مسائل الأحكام فمُبَيِّنٌ في سنة خير الأنام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وما كان مِن القصص والأخبار فاقتُصِر من ذلك على موضع العِظة والعبرة غالِبًا.

ولما كانت النفوس تميل إلى الاستيفاء والاستقصاء لمعرفة بعض التفاصيل، جعل بعض السلف يرجعون في استيفاء تفاصيل تلك القصص والأخبار إلى مَن دخل في الإسلام مِن أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، وغيرهم من علماء اليهود والنصارى.

وهذا فيما ليس عندهم فيه شيء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لو ثبت شيء في ذلك عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما عدلوا عنه إلى غيره.

وزد على ذلك أنَّ رجوعهم إلى أهل الكتاب لم يكن مصدرًا ذا أهمية في التفسير، وإنما كان مصدرًا ضيِّقًا محدودًا على جهة الحكاية له، والاستئناس به فحسب دون الاحتجاج؛ لأن الكتب السابقة وقع فيها كثير من التحريف والتبديل، فكان السلف لا يأخذون عن أهل الكتاب كل شيء، بل ما يتفق مع

(١) انظر: التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبي (١/ ٤٨)، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي (٢/ ٧٥٤).

www.alukah.net

عقيدتهم ولا يتعارض مع القرآن الكريم، أما ما اتضح لهم كذبه، أو عارض الشريعة الإسلامية فكانوا يرفضونه ولا يأخذون به.

حكم التفسير بالإسرائيليات[١]:

تنقسم الإسرائيليات باعتبار حكم الإسلام فيها إلىٰ ثلاثة أقسام:

١) ما وافق الشرع.

٢) ما خالف الشرع.

٣) ما سكت عنه الشرع.

وقد ذهب إلىٰ هذا التقسيم شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في مقدمة أصول التفسير وتلميذه الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره، وبيَّنَا الحكم الشرعي في كل نوع فقالا: إن الأحاديث الإسرائيلية تُذكَر للاستشهاد لا للاعتقاد وهي علىٰ ثلاثة أقسام:

أحدها: ما عَلِمنا صحته مما بأيدينا مما يُشْهَد له بالصدق؛ فذاك صحيح[٢].

وتجوز حكايته لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (**حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»[٣]

والثاني: ما عَلِمنا كَذِبه مما عندنا مما يخالفه؛ فذاك المرفوض، ولا تجوز حكايته.

---

(١) مقدمة في أصول التفسير (ص:١٠٠)، وتفسير ابن كثير (١/ ٥)، والإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير (ص:٧٦).

(٢) كالمروي عن النبي ﷺ مما صح سنده كقصة الغلام والراهب، وقصة جريج العابد، وقصة الأقرع والأبرص والأعمىٰ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا.

www.alukah.net
الألوكة

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا مِن هذا القَبِيل ولا من هذا القبيل؛ فهذا لا نؤمن به ولا نُكَذِّبه، وتجوز حكايته استشهادًا به لا اعتقادًا، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ تُصَدِّقُوهُمْ، وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ**» رواه البخاري[(١)].

ولأبي داود عن أبي نَملة الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُ، وَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُ**»[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: (أي إذا كان ما يخبرونكم به محتمَلًا؛ لئلا يكونَ في نفس الأمر صِدقًا فتكذبوه، أو كذِبًا فتصدقوه فتقعوا في الحرج)[(٣)] انتهى.

ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرًا، كما اختلفوا في معرفة أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعددهم، وعصا موسى عليه السلام من أي الشجر كانت، وأنواع الطيور التي أحياها الله لإبراهيم عليه السلام، ومعرفة البعض مِن البقرة الذي ضُرب به قتيل بني إسرائيل، ونوع الشجرة التي كلَّم الله عندها موسى عليه السلام، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في أمر دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز[(٤)].

ومن أشهر كتب التفسير التي أكثر أصحابها من نقل الإسرائيليات تفسير الخازن، وتفسير الثعلبي.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه: أبو داود (٣٦٤٤)، وأحمد (١٧٢٢٥).
(٣) فتح الباري (٨/ ١٧٠).
(٤) انظر: مقدمة في أصول التفسير (ص:٢٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٠).

www.alukah.net

سابعاً: التفسير بالرأي والاجتهاد:

التفسير بالرأي والاجتهاد، أو الفَهم والاستنباط، يُعتبر مِن أهم مصادر التفسير وأكثرها إعمالًا، ولو لم نُفَسِّرِ القرآن بالاجتهاد لفات معنىٰ التدبر والتأمل في القرآن الكريم، والذي حثنا الله تعالىٰ عليه في غير آية من كتابه الكريم، ولفات كثير مما اشتمل عليه الكتاب الكريم من الأحكام والآداب، وأنواع المعارف والعلوم، التي لا يزال يظهر منها في كتاب الله كل يوم جديد.

وهذا المصدر من المصادر التي قال بها السَّلَف الصالح وعَمِلوا بها، ومنهم صدِّيق الأمة أبو بكر ﷺ، فقد قال في آية الكلالة حِين سُئِل عنها: «أَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِي، فَإِنْ كَانَ صَوَابًا فَمِنَ اللهِ: هُوَ مَا دُونَ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ»(١).

وهو الذي دعا به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن عباس ﷺ في قوله: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»(٢).

وهو الذي عَنَاه علي بن أبي طالب ﷺ بقوله: «أَوفَهْمًا يُؤتَاهُ الرَّجُلَ فِي القُرْآنِ»(٣).

وروىٰ ابن جرير عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾[البقرة:٢٦٩] قال: «المعرفة بالقرآن ناسِخَه ومنسوخَه ومحْكمَه ومتشَابِهَه ومقدَّمَه ومؤخَّرَه وحلالَه وحرامَه وأَمثالَه»(٤).

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (٣/ ٦٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨٧٩) من حديث أبي مسعود الأنصاري ﷺ، وابن حبان (٧٠٥٥) من حديث ابن عباس ﷺ، وهو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٤٧).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري (٥/ ٥٧٦).

www.alukah.net
الألوكة

والتفسير بالرأي والاجتهاد الذي عمل به السَّلَف ﷺ هو الرأي المحمود المبني علىٰ علم، فهو تفسير بالمقتضىٰ من معنىٰ الكلام، والمقتضب من قوة الشرع[(١)].

- ومِن صور تفسيرهم بالرأي والاجتهاد: تفسيرهم القرآن بالقرآن بِحَمْلِ عامِّه علىٰ خاصِّه، ومُطلَقِه علىٰ مُقيَّدِه، ومُجمَلِه علىٰ مُبيَّنِه، وبيان الناسخ والمنسوخ، واستنباط الأحكام والحِكم والفوائد وغير ذلك، وهي كثيرة في كتب التفسير.

أما الرأي المذموم الذي وقع عليه نهي السلف، وشنعوا علىٰ صاحبه، فهو ما كان مبنيًا علىٰ جهل أو هوىٰ[(٢)]، وهو محرم لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[الإسراء:٣٦]، وروىٰ الترمذي وحسنه عن ابن عباس ﷺ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[(٣)].

ولهذا تَحَرَّج السلفُ عن تفسير ما لا عِلم لهم به؛ فقد أخرج أبو بكر بن أبي شيبة وأبو عبيد القاسم بن سلام: أن أبا بكر الصديق ﷺ سُئل عن الأب في قوله تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[عبس:٣١]، فقال: «أي سماء تُظِلُّني؟ وأي أرض تُقِلُّني؟ إذا قُلتُ في كلام الله ما لا أعلم»[(٤)].

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٦١)، والإتقان (٤/ ٢٠٩)، وفصول في أصول التفسير (ص:٦٥).
(٢) مباحث في علوم القرآن (ص:٣٦٣)، فصول في أصول التفسير (ص:٦٦).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٥٠)، وأحمد (٢٠٦٩) وضعفه الألباني.
(٤) أخرجه ابن جرير الطبري (٨/ ٥٣)، والبيهقي في السنن الكُبرىٰ (٦/ ٢٢٣).

www.alukah.net

وقال عبيد الله بن عمر رحمه الله: «لقد أدركت فقهاء المدينة وإنّهم لَيُعظِّمون القول في التّفسير، منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمّد، وسعيد بن المسيّب، ونافع»[(١)].

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: (وهذه الأخبار شاهدة لنا علىٰ صحة ما قلنا: من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يُدْرَك علمه إلا بنص بيان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه -وإن أصاب الحق فيه- فمخطئ فيما كان من فعله، بقيله فيه برأيه؛ لأن إصابته ليست إصابة موقن أنه محق، وإنما هي إصابة خارص وظان، والقائل في دين الله بالظن، قائل علىٰ الله ما لا يعلم، وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك في كتابه علىٰ عباده، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣][(٢)].

حكم التفسير بالرأي المحمود:

تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد المحمود جائز، وقيل: واجب كفائي علىٰ من كان أهلًا لذلك من العلماء الذين توافرت فيهم شروط المفسِّر، والمتبعين في ذلك المصادر الصحيحة والطرائق السديدة في تفسير القرآن الكريم واستخراج علومه الكثيرة وكنوزه المستفيضة[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (١/ ٣٧).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١ / ٧٨، ٧٩).

(٣) انظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص:٣٦٣)، ودراسات في علوم القرآن (ص:١٦٠).

www.alukah.net

الفصل السادس

أقسام التفسير[١]

للتفسير عِدة أقسام باعتبارات مختلفة، وتحتَ كلِّ قِسْمٍ أنواع علىٰ ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ:

أولاً: أقسام التفسير باعتبار معرفة الناس له[٢]:

١) وجه تعرفه العرب من كلامها.

٢) وتفسير لا يعذر أحد بجهله.

٣) وتفسير يعلمه العلماء.

٤) وتفسير لا يعلمه إلا الله، ومن ادعىٰ علمه فقد كذب.

قال العلامة الزركشي في البرهان (٢/ ١٤٦): وهذا تقسيم صحيح.

وإليك إيضاح هذا الأوجه علىٰ جهة الاختصار:

الوجه الأول: ما تعرفه العرب من كلامها:

يشمل هذا القسم ألفاظ القرآن، وأساليبه في الخطاب، وذلك لأنه نزل بلغتهم وعلىٰ طرائقهم في الكلام.

---

(١) انظر: الواضح في علوم القرآن (ص:٢٣٦)، وفصول في أصول التفسير (ص:٢٨ وما بعدها).

(٢) وهذا تقسيم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ﷺ رواه عنه عبد الرزاق في مصنفه، وابن جرير بسند منقطع، ورواه الطبراني في مسند الشاميين (١٢٨٥)، والفريابي في القدر (٤١٤) بسند صحيح.

www.alukah.net

وهذه الألفاظ والأساليب معلومةٌ لديهم غير خافية، وإن كان قد يخفىٰ علىٰ أفراد منهم شيء منها، وذلك لغرابتها علىٰ مسمعه، أو لعدم اعتياده عليها في لغة قومه، كما خفي علىٰ ابن عباس بعض معاني مفرداته؛ كلفظ «فاطر»، وغيرها.

ولذا تجد في تفاسير السلف تفسيرهم اللغوي لمعنىٰ (الصمد، والكفؤ، والفلق، والغاسق وغيرها).

والأساليب لمَّا كانت علىٰ سَنَنِهم في الكلام؛ لم يَخْفَ عليهم المراد بها، فيعلمون من قوله تعالىٰ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[الدخان: ٤٩]، أن هذا الخطاب خطاب امتهان وتهكم، وإن كانت ألفاظه مما يُستعمَل في المدح، وذلك لأن السياق يدل علىٰ معنىٰ الامتهان.

وتعلم هذا الوجه من فروض الكفاية، إذ لا يجب علىٰ كل مسلم معرفة جميع المعاني اللغوية والأساليب الكلامية الواردة في القرآن، وقد يرتقي إلىٰ الواجب فيما إذا توقف عمل الواجب علىٰ هذه المعرفة.

الوجه الثاني: ما لا يعذر أحد بجهله:

وهذا يشمل الأوامر والنواهي المتعلقة بالعقائد، والأحكام، والأخلاق، فقوله تعالىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد: ١٩].

وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[البقرة: ٤٣].

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[الإسراء: ٣٤].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[الحجرات: ١٢]، فهذه النصوص وأشباهها لا يُعذر المكلف بجهل

www.alukah.net
الألوكة

دلالتها وما تقتضيه؛ لأنه مطالب بالعمل بمقتضاها، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[(١)].

الوجه الثالث: ما تعلَمُه العلُماء:

ومِن ذلك ما يُشكِل علىٰ العامة معرفته أو فهمه، كغريب الألفاظ، والمؤول علىٰ خلاف ظاهره، والناسخ والمنسوخ، وما يُتوهم التعارض فيه وغير ذلك، فمن أمثلة الغريب: (الفلق، غاسق، مَسَد، الصَّمد، زَرابي، سُرَادِقُها)، ومن أمثلة المؤول قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾[المائدة:٢] فظاهره وجوب الصيد بعد التحلل، وإنما المقصود الإباحة، ومن أمثلة الناسخ والمنسوخ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[البقرة:٢٣٤] ناسخ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[البقرة:٢٤٠]، ومن أمثلة ما يُفهم التعارض فيه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[القصص:٥٦] مع قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورىٰ:٥٢] فالأُولىٰ يُقصَد بها هداية التوفيق والإلهام وهذه مِن خصائص الله تعالىٰ، والأُخرىٰ يُقصَد بها هداية الدلالة والإرشاد وهي ممكنة في حق الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وغيره، وتعلُّم هذا النوع من فروض الكفاية.

---

(١) وإذا حصل إعمال هذه التكاليف علىٰ وجهها إما بطريق التقليد أو التلقي عن الغير دون دراستها فقد تحقق المقصود، ولا يجب عليه تعلم تفسيرها عندئذ والعلم عند الله.

www.alukah.net

الوجه الرابع: ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ومن ادعى علْمَه فقد كَذب:

وهـذا يشـمل حقـائق المغيبـات، ومتشـابه القـرآن، فالمغيبـات كوقـت قيـام الساعة، وصِفة الدابة التي تخرج في آخر الزمان، وكيفية صفات الله تعالىٰ.

وهـذا النـوع لا يجـوز تجشـم تفسـيره إجماعًـا؛ لأنـه ممـا اسـتأثر الله تعـالىٰ بِعِلمِه.

www.alukah.net

ثانيًا: أقسام التفسير باعتبار طريق الوصول إليه[١]:

وهذا القِسم يُعدُّ أهمَّ الأقسام وأشهرَها، حتىٰ ذهب بعض أهل العلم إلىٰ حَصر أقسام التفسير فيها، وينقسم التفسير بهذا الاعتبار إلىٰ قسمين؛ تفسير بالرواية وتفسير بالدراية:

الأول: تفسير بالرواية:

وطريق الوصول إليه الأثر، ويسمىٰ التفسير بالمأثور، ويشمل التفسير بأقوال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وفي الجُملة مَن عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلىٰ ما يخالف ذلك كان مخطئًا، بل مبتدعًا؛ لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله، صلى الله عليه وسلم[٢].

- **ومن أشهر كتب التفسير بالرواية:**

١) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ).

٢) **معالم التنزيل**: لأبىٰ محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ).

٣) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت:٥٤١هـ).

٤) **تفسير القرآن العظيم**: لأبىٰ الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت:٧٧٤هـ).

---

(١) علوم القرآن (ص:٧٤)، فصول في أصول التفسير (ص:٣٢).

(٢) المقدمة في أصول التفسير (ص:٣٨).

www.alukah.net

٥) **الدر المنثور في التفسير المأثور**: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ).

الثاني: تفسير بالدراية:

وطريق الوصول إليه الاجتهاد، ويسمىٰ التفسير بالرأي، ويرجع التفسير بالرأي والاجتهاد إلىٰ اعتماد الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر من علوم العربية وعلوم القرآن والأصول، وهذا الرأي الذي عَمل به الصحابة ﷺ هو الرأي المحمود المبني علىٰ علم، الذي احتمله اللفظ ودلَّ عليه الدليل، وكان موافقا لقصد المشرع الحكيم، بعيدًا عن كل ضلالة وجهالة، مُتَمشِّيا مع قواعد اللغة العربية، متفهِمًا لأساليبها في عرض الآيات القرآنية، خاليًا من الهوىٰ والسمعة، أما الرأي المذموم فهو ما كان مبنيًا علىٰ جَهل أو هوىٰ، ولم يحتمله اللفظ، ولا دلَّ عليه الدليل، وهذا الذي وقع عليه نهي السلف، وشَنَّعوا علىٰ صاحبه،، كحمل كلام الله تعالىٰ علىٰ معنىٰ لا يليق به، أو الخوض في ما استأثر الله تعالىٰ بعلمه، أو حمله علىٰ معنىٰ بعيد يخالف مراد الحق ﷻ؛ لغرض الاحتجاج به لإحقاق باطل أو إبطال حق كما يصنع بعض المبتدعة والعياذ بالله.

- **ومِن أشهر كتب التفسير بالدراية**[(١)]:

١) **مفاتيح الغيب**: لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت:٦٠٦هـ).

---

(١) ولا يُفهم من هذا التقسيم أنَّ كتب التفسير بالمأثور خاليةٌ من التفسير بالرأي، أو أن كتب التفسير بالرأي خالية مِن التفسير بالمأثور فهذا ليس حاصلًا، بل قد جمعت كُتب التفسير بين هذا وذاك وإنما التصنيف لها هنا بحسب الغالب فيها، وهناك كُتُبٌ جمعت بين الدراية والرواية ومِن أشهرها تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير للعلامة الشوكاني ﷺ.

www.alukah.net

٢) **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت:٦٨٥هـ).

٣) **لُباب التأويل في معاني التنزيل**: لأبي الحسن علي بن محمد الخازن (ت:٧٤١هـ).

٤) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**: لعبد الله بن أحمد بن محمد النَّسفِي (ت:٧٦٠هـ).

٥) **تفسير الجلالين**: للجلال الدين المَحَلِّىٰ (ت:٨٦٤هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ).

www.alukah.net

ثالثًا: أقسام التفسير باعتبار أساليبه أو باعتبار مناهج المفسرين[١]:

وهذا من باب التقسيم الفَنِّي، وينقسم بهذا الاعتبار إلىٰ أربعة أقسام:

١) التفسير التحليلي.

٢) التفسير الإجمالي.

٣) التفسير المقارن أو الموازن.

٤) التفسير الموضوعي.

وهذه التقسيمات المذكورة لا يعني أن كل تفسير قد اقتصر علىٰ أحدها فقط، بل تجدُ في بعض التفاسير معظم هذه الأقسام، ولكن الحُكم علىٰ التفسير بأحدها حُكْمٌ أغلبي؛ فتفسير ابن كثير مثلًا اشتمل علىٰ التحليل في مواضع والإجمال في مواضع والمقارنة في مواضع وهكذا غيره من مطولات كُتب التفسير.

وإليك بيان هذه الأقسام علىٰ جهة الاختصار:

أولاً: التفسير التحليلي:

هذا القسم هو الغالب علىٰ أكثر كتب التفسير، فيعْمِد المفسر بهذا الأسلوب إلىٰ التحليل للآيات، بتناول علوم السورة، كبيان سبب نزولها، وغريب ألفاظها، وإعراب مشكلها، وبيان مجملها وما اشتملت عليه من أحكام وفوائد، ومن أمثلته: تفسير القرطبي، وابن عطية، وابن كثير، وابن عاشور، وغيرها، وهذه التفاسير التحليلية منها ما هو مختصرة، ومنها ما هو متوسطة، ومنها ما هو مطوَّلة، ولكنها تبقي تفاسير تفصيلية تحليلية.

---

(١) انظر: تفسير وتأويل القرآن (ص:١٣، ١٤)، فصول في أصول التفسير (ص:٣٢، ٣٣).

www.alukah.net

ثانياً: التفسير الإجمالي:

ويَعمُـد المفسِّـر بهـذا الأسـلوب إلىٰ بيـان غريـب الألفـاظ والمعنىٰ العـام للآيـات، دون التعـرض لعلـوم السـورة ومـا فيهـا أحكـام وفوائـد ومقاصـد وغيـر ذلك، ومن أمثلته: تفسير الجلالين، وتفسير المراغي، وتفسير السعدي، وأيسر التفاسير للجزائري وغيرها.

ثالثًا: التفسير المقارن أو الموازَن:

وله صورتان:

الصورة الأولىٰ: أن يَعمُد المفسِّر إلىٰ قولين في التفسير أو أكثر، ويقارن بينهـا مـع تـرجيح مـا يـراه راجحًـا، وهـذا المسـلك يسـير عليـه غالـب كتـب التفسـير التحليلي، غير أنه قد يكون عملًا بـارزًا في بعـض التفاسـير فيُكثِر منه المفسر في معظم الآيات، ومن أمثلته: تفسير ابن جرير الطبري، وابن الجـوزي، والقرطبي، وابن جزي وغيرها.

والصورة الأخرىٰ: أن يعَمُد الباحث إلىٰ عِدَّة تفاسير فيجمع ما قيل في تفسير سورة أو آية مُعينة، ثم يدرس هذه الأقوال ويُرجح بعضها علىٰ بعض وفق قواعد وأصول التفسير، وهذا النوع اشتُهر عند بعض المتأخرين.

رابعًا: التفسير الموضوعي[1]:

وهو من الطرائـق المبتكـرة في التّفسـير المعاصـر للقـرآن الكـريم، ولـم يكـن شائعًا في تصانيف السّابقين، فيقصد المفسر به موضـوعًا بعينـه في القـرآن الكـريم

(١) المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص:٣٨٩).

www.alukah.net

فيتناول آياته بالتفسير، واستنباط الأحكام، والحِكم، والفوائد، وما أشبه ذلك، وله ثلاث صور:

• **أولًا: التفسير الموضوعي لمصطلح في القرآن الكريم:**

وصورته أن يختار الباحث لفظة أو مصطلحًا تتكرر في القرآن الكريم، فيتتبعه ويأتي بمشتقاته ويقوم بدراسته على جهة الاستقلال؛ فيستخرج منه الدلالات، والأحكام، والفوائد، واللطائف، كلفظة المحصنات أو الأُمة، أو الفرقان، أو الدِّين، وغير ذلك.

• **ثانيًا: التفسير الموضوعي لموضوع خاص في القرآن الكريم:**

وصورته أن يختار الباحث موضوعًا من القرآن، له أبعاده الواقعية في العقيدة، أو العِلم، أو السلوك، مما يحتاج إليه المجتمع الإسلامي، ويقوم بجمع الآيات المتعلقة بهذا الموضوع، ويدرسها دراسة مستقلة مُبيِّنًا فيها أحكام هذا الموضوع، ومسائله، وفوائده، فيصير هذا البحث مرجعًا مهمًا في موضوعه كدراسة تفسير آيات الصيام، أو آيات الإنفاق، أو الآيات المتعلقة بالعشرة الزوجية، أو آيات آداب الاستئذان، أو آيات الحِجاب، وغير ذلك.

• **ثالثًا: التفسير الموضوعي لسورة من القرآن الكريم:**

وصورته أن يختار الباحث سورة من القرآن فتكون مدار بحثه، ويخرج منها بدراسة موضوعية متكاملة للسورة كدراسة سورة الكهف، أو سورة النور، أو إحدى سور قصار الْمُفصَّل، فيصير تفسيرًا مستقلًا لسورة من سور القرآن يستوعب فيه كل ما يتعلق بعلوم السورة، وأحكامها، والفوائد المستنبطة منها.

www.alukah.net

رابعًا: أقسام التفسير باعتبار اتجاهات المفسرين:

والمراد بالاتجاه: الوجهة التي قصدها المفسر في تفسيره وغلبت عليه، أو كانت بارزة في تفسيره، بحيث يتميز بها عن غيره.

والاتجاهات في التفسير لها اعتبارات، وأشهرها اعتباران:

- العَقَدي.
- والعِلْمِي.

- **أولًا: بالنظر إلىٰ المذهب العقدي للمفسر فهناك عِدَّة اتجاهات، وأهمها:**

١) **الاتجاه السلفي**: ومن أشهر كتب التفسير السائر علىٰ منهج السلف تفسير ابن جرير، وابن كثير، والشنقيطي، والسعدي، وغيرهم.

٢) **الاتجاه الأشعري**: ومن أشهر كتب التفسير السائر علىٰ مذهب الأشاعرة تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي، وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية، وتفسير القرطبي، وتفسير الجلالين.

٣) **الاتجاه المعتزلي**: ومن أشهر كتب التفسير السائر علىٰ مذهب المعتزلة تفسير الكشاف للزمخشري، وتفسير تنزيه القرآن للقاضي عبد الجبار.

٤) **الاتجاه الصوفي**: ومن أشهر كتب التفسير السائر علىٰ مذهب الصوفية كتاب حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السُّلمي الرازي.

- **ثانيًا: بالنظر إلىٰ العِلم الغالب علىٰ التفسير، ومن أهمها:**

١) **الاتجاه اللغوي**: ومِن أمثلته؛ كتاب معاني القرآن للفراء، ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنىٰ.

www.alukah.net

٢) **الاتجاه النحوي**: ومن أمثلته؛ تفسير البحر المحيط لأبي حيان، والدر المصون للسَّمين الحلبي.

٣) **الاتجاه البلاغي**: ومن أمثلته؛ تفسير الكشاف للزمخشري، والتحرير والتنوير لابن عاشور.

٤) **الاتجاه الأثري**: ومن أمثلته؛ تفسير ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن كثير.

٥) **الاتجاه الفقهي**: ومن أمثلته؛ كتاب أحكام القرآن لابن العربي، والجامع لأحكام القرآن الكريم لأبي عبد الله القرطبي.

٦) **الاتجاه الأخباري**: ومن أمثلته؛ تفسير الثَّعلبي حيث غلب علىٰ تفسيره إيرادُ القَصص والإِخبارُ عَمَّن سلف واستيفاؤها، وسواءٌ كانت صحيحة أو باطلة.

www.alukah.net

الفصل السابع

أنواع الاختلاف في التفسير وأسبابه

وجود الاختلاف من طبائع البشر التي لا تنفك عنهم، وهو مِن قَدَرِ الله فيهم، ففي ألسنتهم اختلاف، وفي وألوانهم، وعقائدهم، وأفكارهم إلىٰ غير ذلك.

وقد وقع الاختلاف في التفسير كما وقع في الأحكام، ولهذا الاختلافِ أسبابٌ أوجبته، وعِللٌ أوجدته، والخلاف المروي عن المفسرين جُلُّه هو من خلاف التنوع، لا من خلاف التَّضادَّ، كما نصَّ عليه الإمام سفيان الثوري، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن، والشاطبي في الموافقات، وابن تيمية في المقدمة وغيرُهم.

والاختلاف في النص إذا كان معلومًا للمجتهدين فإنه يرجع إلىٰ أحد ثلاث أمور:

الأول: اختلاف أفهام المجتهدين.

الثاني: أن يكون النَّصُ محتمِلاً لأكثر من معنىٰ.

الثالث: اختلافهم في مُسْتَنَدِ التفسير، مِن حيث صحته مِن عدمه، ومِن حيث قبوله كمصدر للتفسير مِن عدمه.

والاختلاف في التفسير علىٰ نوعين اختلاف تنوع واختلاف تضاد:

www.alukah.net

أولًا: اختلاف التنوع:

وله عدة صور وأشهرها ثلاث:

١) اختلافهم في العبارة مع اتفاقهم في المعنىٰ، كتفسير قوله تعالىٰ: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾[البلد:٢٠]:

فقال بعضهم: مؤصدة تعني مُطْبقة.

وقال آخرون: مُغْلقة، فالعِبارتان مختلفتان والمعنىٰ واحد.

وهكذا قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾[الطور:٩]:

فقال بعضهم: تمور بمعنىٰ تتحرك.

وقال آخرون: تضطرب، وقيل: تَموج، فالعبارات مختلفة والمعنىٰ واحد.

وفي هذه الصورة: يمكن الأخذ بأحد هذه الأقوال، وإن كان الأولىٰ أن يُؤخَذ بالأوضح معنىٰ والأدل عِبارة.

٢) اختلافهم في العبارة والمعنىٰ مع إمكان الجمع بينها، وحمل اللفظة علىٰ جميع المعاني؛ لاحتمال اللفظة لجميع العبارات كالمشترك اللفظي، كتفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾[المدثر:٥١]، **فقال بعضهم**: قسورة يعني الرامي، **وقال آخرون**: الأسد، **وقيل**: النَّبْل، فهذا من المشترك اللفظي؛ لأن كلًا مما ذُكر يُطلق عليه قسورة في اللغة.

وكقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[التوبة:١٠]، فقد ورد في تفسير الإِلّ ثلاثة أقوال:

الأول: العَهد، **الثاني**: القَرابة، **الثالث**: الله ﷻ.

www.alukah.net

وفي هذه الصورة: ينبغي للمُفسِّر أن يَحمل الآية علىٰ جميع المعاني إن كانت كلُّها صحيحة، وأمكن الجمع، ولا تعارض بينها، ولا مرجح لأحدها علىٰ الآخر، فإن ترجح أحدها لزم الحمل عليه والأخذ به.

قال الإمام ابن جرير الطبري ﷺ – معلقًا علىٰ هذه الأقوال في تفسير الإل –: (إذا كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خصَّ من ذلك معنىٰ دون معنىٰ، فالصواب أن يعم ذلك كما عمَّ بها جلَّ ثناؤه معانيها الثلاثة)[(١)].

وقال أبو العباس ابن تيمية ﷺ في المقدمة: (وجمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جدًا، فإن مجموع عباراتهم أدلُّ علىٰ المقصود من عبارة أو عبارتين)[(٢)].

٣) التفسير بالمثال واختلافهم في التمثيل؛ لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنىٰ واحد وليس مثالٌ منها هو المراد علىٰ خصوصه، وإنما المراد هو المعنىٰ العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه، ومِن أمثلة ذلك تفسيرهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود:١١٤]، فقال بعضهم: المقصود بالحسنات الصلوات، وقال آخرون: هو قول الرجل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وقيل غير ذلك.

قال ابن عطية ﷺ: (وهذا كُلُّهُ إنما هو علىٰ جهة المثال في الحسنات)[(٣)].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١٠/ ٨٥).

(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص:١٩).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٢١٣).

www.alukah.net

وهكذا تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[البقرة:٣]:

قال زِرُّ بن حُبيش: الغيب: القرآن، وقال عطاء: الغيب: القَدَر.

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: (وقول زرٍّ بأن الغيب: هو القرآن، **وقول عطاء**: أنه القَدَر؛ تمثيلٌ لبعض ما هو غَيب، وليس ذلك بخلاف بينهم، بل كُلٌّ أشار إلىٰ الغيب بمثال)[(١)].

وفي هذه الصورة: يمكن للمفسر أن يأخذ بأحد هذه الأمثلة أو أقربها للمقصود، إلا أن يدل السياق أو بعض القرائن أن المراد مثالًا بذاته؛ فهنا ينبغي الأخذ به دون غيره.

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ٧٩).

www.alukah.net

ثانيًا: اختلاف التضاد:

وصورته: أن يختلف المفسرون في العبارة والمعنىٰ، ويوجد تعارض في معنىٰ العبارات بحيث لا يمكن الجمع بينها، أو حملها علىٰ جميع المعاني، كاختلافهم في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[البقرة:٢٢٨]، فقال بعضهم: القُرُوء هي حِيَض، وقال آخرون: الأطهار، فهنا لا يُمكن الجمع بين المعنيين أو حَملُ الكلمة علىٰ المعنيين؛ لتضادهما.

وهذا النوع مِن الاختلاف قليل جدا ويَرجِع فيه المُفَسِّر إلىٰ قواعد الترجيح ليختار أحد الأقوال، مراعيا الأفصح لغة، والأدل عبارة، والأوفق للسياق.

www.alukah.net

الفصل الثامن

شـــروط الـمفســـر[١]

١- صحة المعتقد وسلامة المنهج:

لأن صاحب البدعة يُلبِّس على الناس مقصودَ ربهم؛ ليحملهم على اعتقاد بدعته، قال أبو طالب الطبري ﷺ: «اعلم أن مِن شرطه - أي المفسر - صحة الاعتقاد أولًا، ولزوم سنة الدين فإنَّ مَن كان مغموصًا عليه في دينه - أي مطعونًا - لا يؤتمن على الدنيا، فكيف على الدين؟ ثم لا يؤتمن في الدين على الإخبار عن عالم، فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى؟ ولأنه لا يؤتمن إن كان متهما بالإلحاد أن يبغي الفتنة ويغرَّ الناس بليِّهِ، وخداعه، كدأب الباطنية، وغلاة الرافضة، وإنَّ مَن كان متهمًا بهوى لا يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته كدأب القدرية - فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير ومقصوده منه الإيضاح الساكت؛ ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدي»[٢].

وقال ابن القيم ﷺ: «لا يدرك معاني القرآن ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة، وحرام على القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه»[٣].

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢٠٠ ومابعدها)، مباحث في علوم القرآن (ص:٣٤٠-٣٤٣)، المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص:٢٣٩)، دراسات في علوم القرآن (ص:١٦٨)، الموسوعة القرآنية المتخصصة (١/ ٢٥٢).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢٠٠).

(٣) التبيان في أقسام القرآن (ص:١٤٣).

www.alukah.net
الألوكة

٢- اعتماد طرق ومصادر التفسير الصحيحة:

وتقديمها بحسب الأولوية، مُتَّبِعًا في ذلك منهج السلف ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: (مَن عَدَل عن مذاهب الصحابة، والتابعين، وتفسيرهم إلىٰ ما يخالف ذلك كان مخطئًا في ذلك، بل مبتدِعًا، وإن كان مجتهدًا مغفورًا له خطؤه، فالمقصود بيان طُرق العِلم وأدلته، وطُرق الصواب، ونحن نعلم أنَّ القرآن قَرأهُ الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعا)[(١)].

٣- أن تكون له آلةُ المفسِّر:

وهي العلوم التي لا يَحسُن بالمفسر جهلُها وأهم هذه العلوم هي[(٢)]:

١- **علم اللغة**؛ لأن بها يمكنه معرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها، بحسب الوضع العربي.

٢- **النحو**؛ لأن المعنىٰ قد يختلف باختلاف الإعراب، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[البقرة:١٢٤]، فإن إبراهيم مفعول به مقدم وليس فاعلا، ولو أُعرِب فاعلا لتغير المعنىٰ.

٣- **التصريف**؛ لأن به تُعرف الأبنية والصّيغ ودلالاتها، فكلمة (خَنَّاس) مثلا علىٰ وزن فعَّال، وهي أعظم صيغ المبالغة، فتدل علىٰ شدة خنوس إبليس وضعفه إذا ذُكر الله تعالىٰ.

---

(١) مقدمة أصول التفسير (ص:٣٨).

(٢) انظر الإتقان (٢/ ٤٦٤ - ٤٦٦).

www.alukah.net

٤- **الاشتقاق**، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما، كالمسيح، هل هو من السياحة أم من المسح؟ وبه عُرف أن إمام مشتق من أمَّ لا من أُمْ كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾[الإسراء:٧١].

٥، ٦، ٧- **علوم البلاغة الثلاثة**، «**المعاني والبيان والبديع**»؛ لأنه يعرف بالأول خواصُ تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنىٰ، وبالثاني خواصُها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام، ولأن إعجاز القرآن البلاغي لا يدرك إلا بهذه العلوم.

٨- **علم القراءات**، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن، ويترجح بعض الوجوه المحتملة علىٰ بعض، وبعض القراءات توضح المعنىٰ، كقوله: ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ بإسكان الفاء مع فتح الراء وكسرها أي مُعجَّلون ومسْرِفون، وفتح الفاء مع كسر الراء وتشديدها أي مُقصِّرون.

٩- **علم العقيدة**، ليعلم ما يجب لله تعالىٰ وما يستحيل عليه، وما يجوز في حقه، وما لا يجوز، وكذلك بالنسبة للأنبياء، ما يجب لهم، وما يستحيل عليهم، وما يجوز في حقهم، وما لا يجوز وهكذا.

١٠- **أصول التفسير وقواعده**، وهي أكثر علوم الآلة تعلقًا بالتفسير، وعن طريقها يكون أكثر تفهمًا لطرق التفسير، وأسباب الاختلاف، والترجيح بين الأقوال، إلىٰ غير ذلك.

www.alukah.net

١١- **أسباب النزول**؛ لأن بعض الآيات لا يمكن فهمها إلا بمعرفة سبب نزولها.

١٢- **الناسخ والمنسوخ**، ليعلم المُحْكَم من المنسوخ.

١٣- **علوم القرآن**، ولا غِنىٰ للمفسر عنها؛ فجُلُّ مادة التفسير مُستقاة من علوم القرآن. قال ابن أبي الدنيا ﷺ: (وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له، فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهىٰ عنه وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأي المنهىٰ عنه).

قلتُ: والمفسرون مراتبٌ ودرجات، فأجمعهم لهذه العلوم أكملهم دراية، وهذه العلوم وإن كان المفسِّرُ بحاجةٍ إليها جميعًا، غير أنَّ بعضها أكثرُ حاجة من غيرها؛ لتعلقها بأصل عمل المُفسِّر؛ وهو بيان معاني مفردات القرآن الكريم وآياته.

www.alukah.net

الفصل التاسع
آداب المُفسِّـــر[١]

وكما أن للمفسر شروطًا فإن له آدابًا ينبغي عليه الالتزام بها، وهي كثيرة ومنها:

١) **حُسْنُ ديانته، وخُلُقه**: قال العلامة الزركشي ﷺ: (اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة، أو كِبر، أو هوىٰ، أو حب الدنيا، أو وهو مُصِرٌّ علىٰ ذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد علىٰ قول مفسر ليس عنده علم، أو راجع إلىٰ معقوله، وهذه كلها حُجب وموانع بعضها آكد من بعض)[٢].

٢) **حُسْنُ النِّية، وصحة المقصد**: فإنما الأعمال بالنيات، والعلوم الشرعية أولىٰ بأن يكون هدف صاحبها منها الخير العام، وإسداء المعروف لصالح الإسلام، وأن يتطهر من أعراض الدنيا ليسدد الله خطاه، والانتفاع بالعلم ثمرة الإخلاص فيه.

٣) **تحرىٰ الصدق والضبط في النقل**: فلا يتكلم أو يكتب إلا عن تثبت لما يرويه حتىٰ يكون في مأمن من التصحيف واللَّحن.

---

(١) انظر: التحبير في علم التفسير (ص:٨٥)، مباحث في علوم القرآن (ص:٣٤٢)، دراسات في علوم القرآن (ص:١٦٩)، مدخل إلىٰ التفسير وعلوم القرآن (ص:٧٤)، نفحات من علوم القرآن (ص:١٢٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٨٠).

www.alukah.net

٤) **بيان الحق وعدم كتمه**، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران:١٨٧]، قال بعض المفسرين: ثمرة الآية وجوب إظهار الحق، وتحريم كتمانه، قال الزمخشريّ ﷺ: (كفىٰ بهذه الآية دليلًا علىٰ أنه مأخوذ علىٰ العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه، وأن لا يكتموا منه شيئًا لغرض فاسد من تسهيل علىٰ الظلمة، وتطييب لنفوسهم، واستجلاب لمسارهم، أو لجر منفعة وحطام الدنيا، أو لتقية مما لا دليل عليه ولا أمارة، أو لبخل بالعلم، وعيرة أن ينسب إليه غيرهم)[(١)].

٥) **حُسْنُ الإعداد وطريقة الأداء**: كأن يبدأ بذكر سبب النزول، ثم معاني المفردات وشرح التراكيب وبيان وجوه البلاغة والإعراب الذي يتوقف عليه تحديد المعنىٰ، ثم يبين المعنىٰ العام ويصله بالحياة العامة التي يعيشها الناس في عصره، ثم يأتي إلىٰ الاستنباط والأحكام.

٦) **الامتثال والعمل**: فإن العلم يجد قبولًا من العاملين أضعاف ما يجد من سمو معارفه ودقة مباحثه، وحسن السيرة يجعل المفسِّر قدوة حسنة لما يقرره من مسائل الدين، وكثيرًا ما يصد الناس عن تلقي العلم من بحر زاخر في المعرفة لسوء سلوكه وعدم تطبيقه.

---

(١) تفسير الكشاف (١/ ٤٥٠).

www.alukah.net

الفصل العاشر

طبقات المفسرين[١]

لقد اعتنىٰ جماعة من الصحابة ﷺ ومن بعدهم مِن أصحاب القرُون المُفَضَّلة بتفسير القرآن الكريم، فكانت جهودهم بمثابة اللبنة الأولىٰ لتأسس علم التفسير وانتشاره، وقد قسم العلماء مشاهير المفسرين مِن أصحاب القُرون المُفضَّلة إلىٰ ثلاث طبقات بالجملة، وهي علىٰ النحو الآتي:

الطبقة الأولى: الصحابة ﷺ:

وأكثرهم كلامًا في التفسير عبد الله بن عباس ﷺ، وكان علي بن أبي طالب ﷺ يُثْني علىٰ تفسير ابن عباس ﷺ، ويقول: (كأنما ينظر إلىٰ الغيب من ستر رقيق)[٢].

وقال ابن مسعود ﷺ: (نِعمَ تُرجمان القرآن ابن عباس)[٣].

ثم علي بن أبي طالب ﷺ، قال ابن عباس ﷺ: (ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب ﷺ)[٤].

ثم عبد الله بن مسعود، ثم أُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت وآخرين ﷺ.

---

(١) انظر: مقدمة تفسير ابن جزي (١/ ٢٠)، الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢٣٣)، الموسوعة القرآنية المتخصصة (١/ ٣٠١-٣٠٣)، مباحث في علوم القرآن (ص:٣٥٤).

(٢) أورده ابن عطية في تفسيره (١/ ٢٩).

(٣) أخرجه ابن سعد (٢/ ٣٦٦)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١١١)، وأحمد في «الفضائل» (رقم: ١٥٦٢، ١٨٦٣)، وابن جرير (١/ ٤٠) وغيرهم بإسناد صحيح.

(٤) أورده ابن جزي في مقدمة تفسيره (١/ ٢٠).

www.alukah.net

والطبقة الثانية: التابعون رحمهم الله:

وأحسنهم كلامًا في التفسير مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير والحسن البصري، وعلقمة، وعكرمة، وقتادة، والسُّدي، والضحاك بن مُزاحم، وأبو العالية، وعطاء، وابن زيد.

والطبقة الثالثة: وهم أتباع التابعين ومن بعدهم:

وهذه الطبقة أُلِّفَت فيها تفاسيرُ تجمعُ أقوال الصحابة والتابعين؛ كتفسير سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق الصنعاني، وآدم بن أبي إياس، وإسحاق بن راهويه، ورَوح بن عبادة، وعبدُ بن حُميد، وأبي بكر بن أبي شيبة، وآخَرِين.

ثم تلاهم أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وكتابه أجل التفاسير وأعظمها، ثم ابن أبي حاتم، وابن ماجه، وأبو عبدالله الحاكم، وابن مردويه، وابن المنذر وغيرهم، وكُلُّها مُسندة إلىٰ الصحابة، والتابعين، وأتباعهم، وقد صارت هذه التفاسير عُمدةً لمن ألَّف في التفسير بعدهم، وبالأخص تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله فمُعْظَم التفاسير بعده عالة عليه[1].

(١) انظر: الإتقان (٤/ ٢٤٢).

www.alukah.net

الفصل الحادي عشر

أفضل كتب التفاسير

اختلفت أراء العلماء في التفضيل بين كُتب التفسير، وتقديمِ بعضها علىٰ بعض؛ وكُلٌ بحسب معرفته، واطلاعه، وميله، واتجاهه، وكذلك من حيث اختصاص التفسير وتميزه علىٰ غيره من نَواحٍ؛ فلكل تفسير ميزةٌ تميزه عن غيره كما هو معلوم، ونكتفي هنا بذكر بعض أجلِّ كُتب التفسير التي تلقاها العلماء بالقبول، واشتغلوا بها، وأثنوا عليها، وأوصَّوا بها، ومنها:

أولًا: تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ):

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأمّا التّفاسير الّتي في أيدي النّاس فأصحّها تفسير محمّد بن جرير الطّبريّ، فإنّه يذكر مقالات السّلف بالأسانيد الثّابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتّهمين، كمقاتل والكلبيّ»[(١)].

وقال الحافظ السيوطي رحمه الله: (فإن قلت فأي التفاسير ترشد إليه وتأمر الناظر أن يعول عليه؟ قلتُ: تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري الذي أجمع العلماء المعتبرون علىٰ أنه لم يؤلف في التفسير مثله.

قال النووي في تهذيبه: كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله)[(٢)].

---

(١) مقدمة في أصول التفسير (ص:٥١).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢٤٤).

www.alukah.net

قلتُ: وقد تميز الكتاب بنقل آثار السلف مسندة إليهم في معظم الآيات والمفردات، مع عنايته بحكاية الإجماع والتوسع في ذِكْر الخلاف مع الترجيح للأقوال.

ثانيًا: معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ):

قال الخازن في مقدمة تفسيره مادحًا تفسير البغوي: «من أجلّ المصنفات في علم التفسير وأعلاها، وأنبلها وأسناها، جامعًا للصحيح من الأقاويل، عاريًا عن الشّبه والتصحيف والتبديل محلىٰ بالأحاديث النبوية، مطرزًا بالأحكام الشرعية، موشىٰ بالقصص الغريبة وأخبار الماضيين العجيبة، مُرصَّعًا بأحسن الإشارات، مخرجًا بأوضح العبارات مفرَّغًا في قالب الجمال بأفصح مقال»[(١)].

وقال ابن تيمية ﷺ: (والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة)[(٢)].

قلتُ: يسلك البغوي في تفسيره السبيل القويم في بيان المعاني فيفسر القرآن بالقرآن أو بالحديث أو بأقوال الصحابة، ويستأنس بأقوال التابعين والمجتهدين من المفسرين، ويتعرض قليلا للقراءات والفقهيات، وينصر مذهب السلف في مسائل الاعتقاد وقد عِيب عليه أنه أكثر الرواية عن الكلبي (وهو متروك الرواية) وقد اُعتذر له أنَّ هذا جرىٰ استئناسًا ليَعْلَم الناس ما قيل في مفهوم الآية، وقد يقول الكلبي كلامًا جيدًا في التفسير موافقًا لما ورد في المأثور.

---

(١) تفسير الخازن (١/ ٣).

(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص:٥١).

www.alukah.net

ثالثًا: المحرر الوجيز لابن عطية أبي محمد عبد الحق بن أبي بكر الأندلسي (ت:٥٤١هـ):

قال الداودي ﷺ: (كتب التراجم والسير أجمعت علىٰ توثيقه وسعة علمه، وتفسيره خير شاهد علىٰ ثقته وأمانته)[١].

وقال ابن جزي ﷺ: (وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها، فإنه اطلع علىٰ تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدّد النظر، محافظ علىٰ السُّنة)[٢].

وقال أبو حيان ﷺ: (وأبو محمد عبد الحق بن غالبِ بن عطية الأندلسي المغرِبي الغرناطي، أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير)[٣].

قلتُ: وتفسير المحرر الوجيز من أجل كتب التفسير التي يجدر بطالب العلم ملازمته، والتأصل عليه، لغزارة فوائده، ودقة ألفاظه، وكثرة علومه التي تكسب الطالب ملكة جيدة في تفسير القرآن الكريم، حيث عُني ابن عطية ﷺ في تفسيره بحكاية الإجماعات، وذكر أقوال المفسرين والترجيح بينها، وبيان اعراب الآيات، وأوجه القراءات، وبعض القواعد والفوائد والتعقبات، فهو محرر كاسمه مع توسط حجمه، فدونك هذا السِّفرَ المبارك الذي لا ينبغي أن تخلو منه مكتبة طالب علم.

---

(١) مقدمة تفسير ابن عطية (١/ ٢٩).

(٢) مقدمة تفسير ابن جُزَي (١/ ٢٠).

(٣) مقدمة تفسيره البحر المحيط (١/ ٢٠).

www.alukah.net

رابعًا: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت:٦٧١هـ):

قال الذهبي رحمه الله: (وقد سارت بتفسيره العظيم الشّأن الرُّكْبان؛ وهو كامل فِي معناه)[١].

وقال ابن فرحون رحمه الله: (جمع في تفسير القرآن كتابا كبيرا في اثني عشر مجلدا، سماه كتاب" الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان" وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والاعراب والناسخ والمنسوخ)[٢].

قلتُ: جامع القرطبي كاسمه جمع علومًا كثيرة تُشد لها الرحال، وهو أحد كتب التفسير التي لا غنىٰ للمعتني بالتفسير عنها، وبه يمكن الاستغناء عن كثير من التفاسير، ومن عكف عليه حظي بعلوم كثيرة متعلقة بالقرآن الكريم، فهو دُرة بين كتب التفاسير، ولكن لم يسلم مؤلفه من التأويل لبعض الصفات علىٰ مذهب الأشاعرة فيُنتبه لذلك.

خامسًا: تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت:٧٧٤هـ):

قال فيه السيوطي رحمه الله: (التفسير الذي لم يؤلَّف علىٰ نمطه مثله)[٣].

---

(١) تاريخ الإسلام (٥/ ٧٥).

(٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢/ ٣٠٩).

(٣) طبقات الحُفاظ (ص:٥٣٤).

www.alukah.net

وقال عنه الشوكاني ﵀: (التفسير المشهور وهو في مجلدات، وقد جمع فيه فأوعىٰ، ونقل المذاهب والأخبار والآثار، وتكلم بأحسن كلام وأنفسه، وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها)[(١)].

وقال الشيخ أحمد شاكر ﵀: (من أحسن التفاسير التي رأيناها وأجودها وأدقها بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر الطبري)[(٢)].

سادسًا: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزي محمد بن أحمد الكلبي (ت:٧٤١هـ):

قال أبو حامد محمد العربي الفاسي المغربي (ت:١٠٥٢هـ) يوصي أبناءه: (ومن أحسن التفاسير التي أحب لكم مطالعتها وتفهمها: تفسير ابن جُزي، ولا أقبل قول من يخالف ذلك)[(٣)].

وقال الشيخ خالد السبت، في درس صوتي يشرح فيه تفسير ابن جزي: (فهذا كتاب في غاية الأهمية، لا يستغني عنه طالب العلم، وهو مع إيجازه فالمؤلف يحرص فيه علىٰ الوفاء بالمعنىٰ، يختصر جدا مع ذكر الأقوال، وهو كتاب ملخص، لكنه عميق ودقيق قلَّ أن يوجد مثله).

قلتُ: وتفسير ابن جزي من التفاسير التي يحسن بطالب العلم أن يُعنىٰ بها ويتأصل عليها لاختصاره، وتحريره وتدقيقه في كثير من المواضع مما يُكسِب الطالب متانة ومُكنة في هذا العلم، وقد جرىٰ المؤلف في الصفات علىٰ مذهب الأشاعرة فيُنتبه لذلك.

---

(١) البدر الطالع (١/ ١٥٣).

(٢) عمدة التفسير (١/ ٩).

(٣) منقول من صفحة مكتبة طالب العلم علىٰ الشبكة.

www.alukah.net

سابعًا: تفسير الجلالين للجلال الدين المحلى (ت٨٦٤هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ):

يُعد من أنفع كتب التفسير لطالب العلم المبتدئ وقد لقي اهتمامًا من أهل العلم وانتشارًا واسعًا وقد أثنىٰ عليه كثير من العلماء مع تنبيههم لما اشتمل عليه من تأويل الصفات وبعض الأخطاء، وممن أثنىٰ عليه الشيخ ابن باز، والعثيمين، والفوزان.

وقال فيه الشيخ عبد الكريم الخُضير: (تفسير الجلالين متن متين متقن محرر يمكن أن يُربَىٰ عليه طالب عِلم التفسير إلا أنه في الاعتقاد له مخالفات في التأويل في الصفات وغيرها ينبه عليها الطالب).

ثامنًا: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ):

وهذا الكتاب محصلة ما يَقرُب مِن أربعين عامًا من العمل، وتميز هذا التفسير بالاهتمام بالجوانب البلاغية للقرآن، وذِكر أسماء السور، ومكان نزولها، وترتيب نزولها، وعدد آياتها، وبيان ما تضمنته من المقاصد وغير ذلك.

وقالت عنه دار النشر التونسية: (تفسير التحرير والتنوير من أهم التفاسير الذي يرجع إليه المختصون، واستطاع مؤلفه من خلاله أن يضع نفسه بين أبرز علماء تفسير القرآن، وهو من أبرز تفاسير العصر الحديث).

قلتُ: وتفسير التحرير والتنوير من مطولات كتب التفسير فهو مطبوع في ثلاثين مجلدا، وقد اختصره الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في مجلدين وسماه التقريب لتفسير التحرير والتنوير، وقد جمع ابن عاشور في تفسيره الكثير من

www.alukah.net

العلوم الشرعية وغير الشرعية التي وظَّفها في إبراز كمال الشريعة واستيعاب كتاب الله ﷻ لكل شؤون الحياة الدينية والدنيوية من مسائل طبية ونفسية وجغرافية وفلكية وتاريخية وأدبية وغير ذلك فهو كتاب فريد في بابه جمع ما لم يجمع غيره، مع قوة في العبارة وإسهاب في تحليل الألفاظ وبيان مدلولاتها، ولذا لا يتناسب الكتاب مع طالب العلم المبتدئ فضلًا عن العامي، وإنما يناسب طلبةَ العلم الحاذقين المتمكنين في علوم العربية، وغيرها من علوم الشريعة، وقد ذهب في بعض آيات الصفات مذهب الأشاعرة في التأويل، وسار علىٰ مذهب السلف في غيرها من مباحث العقيدة، يُقرِّر فيها مذهب السلف ويرد علىٰ المخالفين كالمعتزلة والخوارج والصوفية وغيرهم.

تاسعًا: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت:١٣٧٦هـ):

قال الشيخ العثيمين: فإن تفسير شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي ﷺ المسمىٰ (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) من أحسن التفاسير حيث كان له ميزات كثيرة، ثم ذكر جُملة من مميزاته ﷺ[(١)].

وقال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل: (جاء هذا التفسير سهل العبارة، واضح الإشارة، وصاغه علىٰ نمط بديع بعبارات قريبة لا خفاء فيها ولا غموض، فهو يعتني بإيضاح المعنىٰ المقصود من الآية بكلام مختصر مفيد... إلىٰ آخر كلامه)[(٢)].

---

(١) انظر مقدمته للكتاب (ص:١١).

(٢) انظر مقدمته للكتاب (ص:٩).

www.alukah.net

خاتمة

المنهجية العلمية لدراسة التفسير

ينبغي لطالب علم التفسير أن يبدأ بدراسة مدخل إلىٰ علم التفسير كغيره من العلوم؛ يتصور به الفن، ويتعرف علىٰ مبادئه وأهم متعلقاته، ثم ينتقل إلىٰ دراسة أصول التفسير وقواعده، ثم يتوسع إلىٰ دراسة كتاب في علوم القرآن، ثم يلِج إلىٰ التفسير مُبتدِأً بحفظ متن في غريب القرآن ودراسته، ثم يتلقَّىٰ مختَصَرًا في التفسير؛ يتأصل فيه كتفسير الجلالين، ثم يتوسع بعد ذلك في مطالعة كتب التفسير المنصوح بها، ويجعل له تفسيرًا يعكِف علىٰ مداومة قراءته وكلما انتهىٰ منه عاد إليه، حتىٰ يرسخ لديه، وهذا أنفع من التشتت في قراءة كتب التفسير والتنقل من تفسير إلىٰ آخر، فإذا أراد أن يتخصص في علم التفسير فحينئذ يحتاج إلىٰ التمكن مِن العلوم التي يحتاج إليها المفسِّر، والتوسع في دراسة علوم القرآن والمطالعة في كتب التفسير والبحث والتعليم ويومًا بعد يوم حتىٰ يصير راسخًا في علم التفسير بإذن الله الفتاح العليم.

www.alukah.net
الألوكة

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
الفصل الأول: مبادئ علم التفسير ٦
المبادئ العشرة لعلم التفسير: ٧
أولاً: حَدُّه: ٧
ثانيًا: موضوعه: ٧
ثالثًا: ثمرته: ٧
رابعًا: نسبته: ٨
خامسًا: فضله: ٨
سادسًا: واضعه: ٨
سابعًا: اسمه: ٩
ثامنًا: استمداده: ٩
تاسعًا: حكم تعلمه: ١٠
عاشرًا: مسائله: ١٠
الفصل الثاني: نشأة علم التفسير وتطوره ١١
الفصل الثالث: مراحل التدوين في التفسير ١٤
الفصل الرابع: علاقة التفسير بعلوم القرآن ١٦
الفصل الخامس: مصادر التفسير ١٧
أولاً: تفسير القرآن بالقرآن: ١٧
ثانيًا: تفسير القرآن بالسنة النبوية: ٢٣
أولًا: تفسير القرآن بالقرآن نفسه: ٢٣
ثانيًا: تفسير القرآن بوحي من الله تعالى: ٢٤
ثالثًا: تفسير القرآن باللغة: ٢٤

www.alukah.net
الألوكة

رابعًا: أن يعمل بما تدل عليه الآية فيكون تفسيرًا عمليًّا، ويُسمَّى تأويلًا: ٢٥
ثالثًا: التفسير بأقوال الصحابة ﷺ: ٢٨
رابعًا: التفسير بأقوال التابعين ﷺ: ٣٤
خامسًا: التفسير باللغة العربية: ٣٩
سادسًا: التفسير بالإسرائيليات: ٤٥
سابعًا: التفسير بالرأي والاجتهاد: ٤٨
الفصل السادس: أقسام التفسير ٥١
أولاً: أقسام التفسير باعتبار معرفة الناس له: ٥١
الوجه الأول: ما تعرفه العرب من كلامها: ٥١
الوجه الثاني: ما لا يعذر أحد بجهله: ٥٢
الوجه الثالث: ما تعْلَمُه العُلماء: ٥٣
الوجه الرابع: ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ومن ادعى عِلْمَه فقد كَذب: ٥٤
ثانيًا: أقسام التفسير باعتبار طريق الوصول إليه: ٥٥
الأول: تفسير بالرواية: ٥٥
الثاني: تفسير بالدراية: ٥٦
ثالثًا: أقسام التفسير باعتبار أساليبه أو باعتبار مناهج المفسرين: ٥٨
أولاً: التفسير التحليلي: ٥٨
ثانيًا: التفسير الإجمالي: ٥٩
ثالثًا: التفسير المقارن أو الموازَن: ٥٩
رابعًا: التفسير الموضوعي: ٥٩
رابعًا: أقسام التفسير باعتبار اتجاهات المفسرين: ٦١
الفصل السابع: أنواع الاختلاف في التفسير وأسبابه ٦٣
أولًا: اختلاف التنوع: ٦٤

www.alukah.net
الألوكة

ثانيًا: اختلاف التضاد: ٦٧
الفصل الثامن: شروط المفسر ٦٨
١ - صحة المعتقد وسلامة المنهج: ٦٨
٢ - اعتماد طرق ومصادر التفسير الصحيحة: ٦٩
٣ - أن تكون له آلةُ المفسِّر: ٦٩
الفصل التاسع: آداب المُفسِّر ٧٢
الفصل العاشر: طبقات المفسرين ٧٤
الطبقة الأولى: الصحابة رضي الله عنهم: ٧٤
والطبقة الثانية: التابعون رحمهم الله: ٧٥
والطبقة الثالثة: وهم أتباع التابعين ومن بعدهم: ٧٥
الفصل الحادي عشر: أفضل كتب التفاسير ٧٦
أولًا: تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري: ٧٦
ثانيًا: معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي: ٧٧
ثالثًا: المحرر الوجيز لابن عطية أبي محمد عبد الحق الأندلسي: ٧٨
رابعًا: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي: ٧٩
خامسًا: تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء ابن كثير: ٧٩
سادسًا: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزي الكلبي: ٨٠
سابعًا: تفسير الجلالين للجلال الدين المحلى، وجلال الدين السيوطي: ٨١
ثامنًا: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور التونسي: ٨١
تاسعًا: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبدالرحمن السعدي: ٨٢
خاتمة: المنهجية العلمية لدراسة التفسير ٨٣
فهرس الموضوعات ٨٥